

تفريج الكروب

شرح حديث:

«دعوة أخي ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته».

تأليف

شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، ناصر السنة، وقامع البدعة

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨هـ رحمه الله تعالى

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

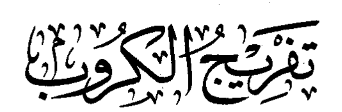
أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي

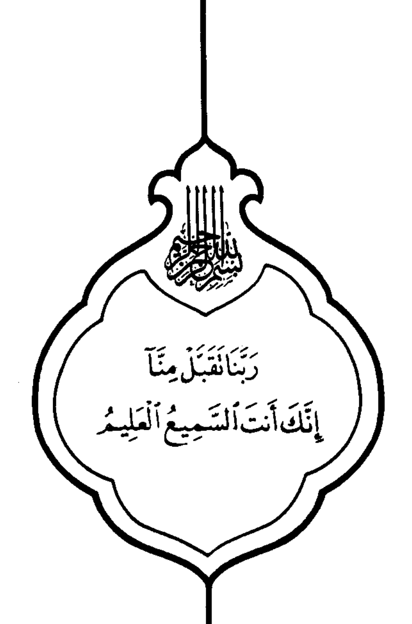
عفا الله تعالى عنه

مؤسسة الريان

للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم


تفريج الكروب



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٣٦ السجل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

المقـدّمـة

إنّ الحمدَ لله، نحمُدهُ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

مَنْ يهده الله فلا مضلّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ له.

أشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريك له.

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد.

فإنّ العبد ـ كما يقول ابن قيم الجوزية ـ دائم التقلّب بين حالين:

الأولى: نعم من الله تترادف عليه تترى من حيث لا يدري ولا يحتسب ولا يستطيع أن يحصيها، فقيدها بالشكر.

والثانية: محن وابتلاء من الله تعالى يبتليه بها، ففرضه فيها الصبر والتسلي، فإذا حقّق العبد حقيقة الصبر كما ينبغي، انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً.

وقد شرع الإسلام لتفريج الكروب وسائل كثيرة، ومن أهمها الدعاء إلى الله والتضرّع إليه، ومن هذه الأدعية دعاء ذي النون، النبي الكريم يونس عليه الصلاة والسلام الذي ابتلاه الله بأن ابتلعه الحوت، وأصبح في ظلمات عظيمة، فصبر، ونادى في الظلمات كاشف الهمّ، وفارج الكرب: أن لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فكشف الله ما أهمّه وما أغمّه.

وإني أقدّم للأخوة المؤمنين شرحاً لحديث دعاء ذي النون، سطره شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى في هذه الرسالة، الفريدة في بابها، الوحيدة في ما تضمنته من معان وعلم غزير، فكانت بحق درة مضيئة، تستحق من الإخوة الاعتناء بها.

وكلما قمت بتحقيق كتاب لشيخ الإسلام، أجده جبلاً راسخاً في العلم، وقدماً سباقاً لتحقيق المسائل وتدقيقها بما لا أجده عند غيره من العلماء فهو بحر من العلوم، يحتاج المسلمون إلى الغوص فيه لنيل لآلئه ودرره، وقد تطرق شيخ الإسلام في هذه الرسالة إلى مسائل مهمة في تفريج الكروب، وشرح حديث دعاء ذي النون، ومن المسائل التي تناولها:

- معنى الدعاء، والفرق بين الدعاء والدعوة في القرآن الكريم.
- وبيّن شروط تفريج الكروب بالدعاء المذكور.
- ولم كانت هذه الكلمات موجبة لتفريج الكروب؟
- وشرح هذا الدعاء شرحاً ماتعاً.

- وبيّن أنّ التوبة تكون من فعل المعاصي وتكون من ترك الواجبات والطاعات.

- وبيّن الصواب في مسألة عصمة الأنبياء، وضرب الأمثلة الموضحة لذلك.

- وبيّن أنّ التوبة تصح من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر بشروط.

- وبيّن معنى الإيمان، وأنه قول وعمل.

- وبيّن السبب في أنّ الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق.

ومسائل أخرى كثيرة، وضّح فيها الحق، وأبان فيها الصراط المستقيم، على الرغم من صغر حجم هذه الرسالة.

مما يبيّن لك جلالة قدر هذا الإمام، وعظم مكانته، ولقد اعترف بهذا القاصي والداني، والقريب والبعيد، حتى لقّب بشيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -.

عملي في تحقيق هذه الرسالة:

هذه الرسالة موجودة في مجموع الفتاوى، المجلد العاشر من ص ٢٣٧ - ٣٣٦، ولقد قمت في تحقيقها بالخطوات الآتية:

١ - خرجت آياتها.

٢ - خرجت أحاديثها، ومعظم الآثار الواردة فيها، مع بيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

٣ - عزوت الأقوال لقائليها.

٤ - علّقت عليها بما يحتاج من تفسير غريب، أو إيضاح مشكل، أو زيادة توضيح.

٥ - قدمت لها بترجمة موجزة للمؤلف، مع تخريج واف للحديث المشروح.

٦ - قمت بفهرسة للآيات، وللأحاديث، وللآثار الواردة فيها.

هذا فما كان من صواب فمنة من الله علي وفضل عظيم

وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان أستغفر الله منه.

وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاه.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

راجي عفو ربه

أبو عبد الرحمن

فواز أحمد زمرلي

طرابلس ـ الشام

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام
رحمه الله تعالى

* وُلد شيخ الإسلام في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ في حران، وتحوّل به أبوه من حران إلى دمشق سنة ٦٦٧ هـ عند استيلاء التتار على البلاد فنشأ فيها.

* كان أبوه من كبار العلماء في هذه الحقبة.

استطاع شيخ الإسلام أن يلمّ بفنون الثقافة في عصره في وقت مبكر، وكان ذا حافظة خارقة، فهو يحفظ كل ما يقع تحت عينيه، وقد حدّثوا في ترجمته بالأعاجيب في ذلك.

كان مضرب الأمثال في زهده وترفّعه عن شهوات الدنيا، وكان مترفّعاً عن الحقد، لا ينتقم لنفسه.

قال فيه ابن مخلوف قاضي المالكية: ما رأينا مثل ابن تيمية: حرّضنا عليه، فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

* أخذ الفقه والأصول عن والده، وسمع من خلق كثيرين.

* من تلاميذه الذين كانوا من بعده من أشهر رجال الإسلام: ابن قيم الجوزية، والحافظ ابن كثير، والإمام الذهبي وغيرهم.

* تناول شيخ الإسلام علوم عصره بالدراسة العميقة، ثم بالتأليف والردّ على مخالفيه، ولقد ترك من المؤلفات ما يصل إلى خمسمائة مصنَّف.

ومن مؤلفاته: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وجواب أهل العلم والإيمان، والجواب الصحيح، ودرء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية ـ وغيرها.

* ولقد أثنى العلماء والأئمة على هذا الإمام، ولقّبوه بشيخ الإسلام وأفردوا مناقبه بالتصنيف، ولم ينتقص منه إلاّ مَنْ جهل مقداره وخطره ومَنْ جهل شيئاً أنكره.

ولقد أنصف العلامةُ بهاءُ الدين بن السبكي حيث قال لبعض مَنْ ذكر له الكلام في ابن تيمية: **والله يا فلان، ما يبغض ابن تيمية إلاّ جاهل أو صاحب هوى! فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدّه هواه عن الحق بعد معرفته له.**

أدخل السجن آخر مرة في شعبان سنة ٧٢٦ هـ، واعتقل بالقلعة ومكث في السجن إلى أن توفّاه الله في ٢٦ من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ.

وكانت جنازته عظيمة جداً، وأقلّ ما قيل في عدد مشيعيه: خمسون ألفاً.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجزاه عن الدين خير ما جازى داعية حق عن دعوته.

تخريج الحديث
وبيان صحته

هذا الحديث ورد من طرق عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله تعالى عنه - وإليك أخي المسلم بياناً لها:

١ - طريق يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن جده سعد بن أبي وقاص:

رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٨٢)، حديث رقم (٣٥٠٥) ٥/ ٥٢٩.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٥٦) ص ٤١٦.

وأحمد في المسند ١/ ١٧٠ وفي أوله قصة.

وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٧٧٢) ٢/ ١١٠ - ١١١ وفي أوله قصة.

والبزار في مسنده، حديث رقم (٣١٥٠) ٤/ ٤٣ (كشف الأستار).

والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٢٤) ٢/ ٨٣٨.

والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٥، و٢/ ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٥٨٣.

والبيهقي في الشعب، حديث رقم (٦٢٠) ١/ ٤٣٢.

والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٢٨٦٥) ٢/ ٣٣٢.

والمقدسي في العدة للكرب والشدة، حديث رقم (٢٠) ص ٥١ وفي أوله قصة.

قلت: وقع في سنده اختلاف على يونس:

أ ـ فرواه محمد بن يوسف، عن يونس هكذا.

وقال محمد بن يوسف مرة: عن إبراهيم، عن سعد.

ب ـ وروى غير واحد هذا الحديث عن يونس: عن إبراهيم بن سعد، عن سعد: ولم يذكروا فيه: عن أبيه:

رواه الترمذي، عقيب حديث (٣٥٠٥) ٥/ ٥٣٠ ثم قال: «وقد روى غير واحد هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن سعد، ولم يذكروا فيه: عن أبيه.

وروى بعضهم عن يونس بن أبي إسحاق، فقالوا: عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن سعد.

وكان يونس بن أبي إسحاق ربما ذكر في هذا الحديث: عن أبيه، وربما لم يذكره» ا هـ.

قلت: وقد تابع محمدُ بن مهاجر يونساً عليه:

٢ ـ فقد رواه من طريق محمد بن مهاجر، عن إبراهيم بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن جده:

النسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٥٥) ص ٤١٥.

والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٥.

وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، حديث رقم (٣٣) ص ٤٧ ـ ٤٨.

ومحمد بن مهاجر: قال البخاري: لا يتابع على حديثه.

وقال الحافظ ابن حجر في تقريبه ٢/ ٢١١: «لين» ا هـ. وانظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧٨.

وله طرق أخرى:

٣ ـ فقد رواه من طريق مصعب بن سعد، عن سعد: بلفظ: «من دعا بدعاء يونس استجيب له»:

أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٧٠٧) ٢/ ٦٥.

والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٨٤.

وابن عدي في الكامل ٦/ ٦٨.

والبزار في مسنده، حديث رقم (٣١٤٩) ٤/ ٤٢ بلفظ حديث إبراهيم بن سعد

والدورقي في مسند سعد، حديث رقم (٦٣) ص ١١٨.

قلت: هذا السند ضعيف، فيه.

١ ـ كثير بن زيد: ضعيف. انظر تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٣ ـ ٤١٥، وتهذيب الكمال ٣/ ١١٤٢، والكامل لابن عدي ٦/ ٦٧ ـ ٦٩، والتقريب ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢ وقال: «صدوق، يخطىء» اهـ.

٢ ـ المطلب بن عبد الله بن حنطب: ثقة، إلا أنه كثير التدليس والإرسال، كما في التقريب ٢/ ٢٥٤، وانظر التهذيب ١٠/ ١٧٨ ـ ١٧٩، والمراسيل ص ٢٠٩، والكاشف ٣/ ١٣٣.

٤ ـ ورواه من طريق أبي أمامة، عن سعد:

ابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٤٣) ص ١٢٤.

وابن عدي في الكامل ٥/ ١٥٠.

وفي سنده: عمرو بن الحصين: متروك.

قال ابن عدي: حدّث بغير حديث ـ عن الثقات ـ منكر.

وقال: وهو مظلم الحديث.

انظر الكامل ٥/ ١٥٠.

٥ ـ ورواه من طريق سعيد بن المسيب، عن سعد:

الطبري في تفسيره، حديث رقم (٢٤٧٧٩) ٩/ ٧٨.

ولفظه: «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: دعوة يونس بن متى».

قال: فقلت: يا رسول الله، هي ليونس بن متى خاصة، أم لجماعة المسلمين؟.

قال: «هي ليونس بن متى خاصة، وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ فهو شرط الله لمن دعاه بها» اهـ.

وفي سنده علي بن زيد بن جدعان: ضعيف، انظر التقريب ٢/ ٣٧، والمغني ٢/ ٤٤٧، والكاشف ٢/ ٢٤٨، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤.

ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦ من طريق عمرو بن بكر السكسكي، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن المسيب به.

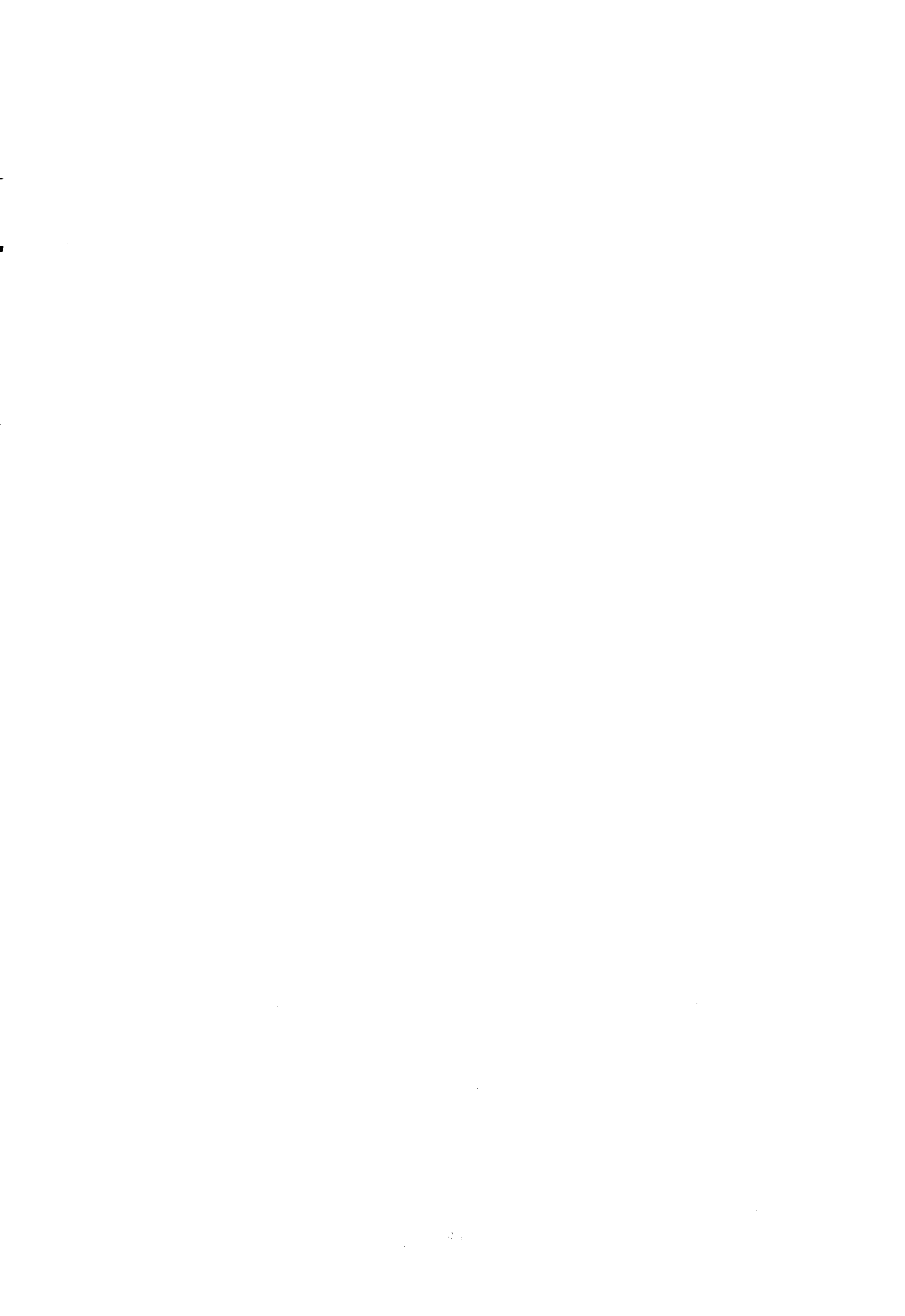
وعمرو بن بكر متروك: متروك، انظر الكامل ٥/ ١٤٦، والتهذيب ٨/ ٧، والتقريب ٢/ ٦٦.

فيصح الحديث بطريق سعيد بن المسيب ـ عند الطبري، والطريق الثالثة، والثانية والحمد لله تعالى، وهو أعلم بالصواب.

نص رسالة

شرح حديث:

«دعوة أخي ذي النون: لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك، إنّي كنت من الظالمين: ما دعا بها مكروب إلاّ فرّج الله كربته».



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سئل شيخ الإسلام

ابن تيمية ـ قدّس الله روحه ـ

ـ عن قول النبي ﷺ: **«دعوة أخي ذي النون: لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين: ما دعا بها مكروبٌ إلاّ فَرَّجَ اللَّهُ كربته»**[1].

ما معنى هذه الدعوة؟.

ولِمَ كانت كاشفة للكرب؟.

وهل لها شروط باطنة عند النطق بلفظها؟.

وكيف مطابقة اعتقاد القلب لمعناها، حتى يوجب كشف ضرّه؟

وما مناسبة ذكره: «إني كنت من الظالمين» مع أنَّ التوحيد يوجب كشف الضر؟

وهل يكفيه اعترافه، أم لا بد من التوبة والعزم في المستقبل؟.

وما هو السر في أنّ كَشْفَ الضُّرِّ وزواله يكون عند انقطاع الرجاء عن الخلق والتعلّق بهم؟.

وما الحيلة في انصراف القلب عن الرجاء للمخلوقين والتعلّق بهم

---

(١) انظر تخريجه في مقدمة تحقيق هذه الرسالة.

بالكليّة وتعلّقه بالله تعالى ورجائه وانصرافه إليه بالكليّة، وما السبب المعِين على ذلك؟؟.

فأجاب: الحمد لله رب العالمين.

لفظ «الدعاء والدعوة» في القرآن يتناول معنيين: [1]

١ ـ دعاء العبادة:

٢ ـ ودعاء المسألة:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩] وقال: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء: ١١٧] وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] وقال في آخر السورة: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان: ٧٧].

قيل: لولا دعاؤكم إياه.

وقيل: لولا دعاؤه إياكم: فإنّ المصدر يضاف إلى الفاعل تارة، وإلى

---

(١) انظر في أوجه الدعاء في القرآن: نزهة الأعين النواظر ص ٢٩٢ ـ ٢٩٥، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢.

المفعول تارة. ولكن إضافته إلى الفاعل أقوى: لأنه لا بدّ له من فاعل. فلهذا كان هذا أقوى القولين؟ أي: ما يعبأ بكم لولا أنكم تدعونه فتعبدونه وتسألونه: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان: ٧٧] أي: عذاب لازم للمكذبين[١].

ولفظ الصلاة في اللغة: أصله الدعاء، وسميت الصلاة دعاء لتضمّنها معنى الدعاء، وهو العبادة والمسألة.

وقد فسّر قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

بالوجهين:

قيل: أعبدوني وامتثلوا أمري استجيب لكم. كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشورى: ٢٦]: أي يستجيب لهم، وهو معروف في اللغة، يقال: استجابه واستجاب له، كما قال الشاعر:

وداع دعا: يا مَنْ يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقيل: سلوني أعطكم.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، مَنْ يسألني فأعطيه، مَنْ يستغفرني فأغفر له**»[٢].

(١) انظر في تفسير هذه الآية: البحر المحيط ٦/ ٥١٧ ـ ٥١٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٣١، والمحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣، وزاد المسير ٦/ ١١٢ ـ ١١٣، وروح المعاني ١٠/ ٥٤ ـ ٥٥، وتفسير الطبري ٩/ ٤٢٦ ـ ٤٢٨، وتفسير السمرقندي ٢/ ٤٦٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب (٤) الدعاء والصلاة في آخر الليل، حديث رقم (١١٤٥) ٣/ ٢٩.

وفي كتاب الدعوات، باب (١٤) الدعاء نصف الليل، حديث رقم (٦٣٢١) ١١/ ١٢٨ ـ ١٢٩.

وفي كتاب التوحيد، باب (٣٥) قول الله تعالى: **﴿يريدون أن يبدّلوا كلام الله﴾**، حديث رقم (٧٤٩٤) ١٣/ ٤٦٤ عن الأغر وحده. =

فذكر أولاً لفظ الدعاء، ثم ذكر السؤال والإستغفار، والمستغفر سائل كما أنّ السائل داع: لكن ذكر السائل لدفع الشرّ بعد السائل الطالب للخير، وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما، فهو من باب عطف الخاص على العام.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

= ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب (٢٤) الترغيب في الدعاء، حديث رقم (٧٥٨) ١/ ٥٢١ ـ ٥٢٣.

وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (٢٢) أي الليل أفضل؟، حديث رقم (١٣١٥) ٢/ ٣٤.

وفي كتاب السنة، باب (١٩) في الرد على الجهمية، حديث رقم (٤٧٣٣) ٤/ ٢٣٤.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٧٩)، حديث رقم (٣٤٩٨) ٥/ ٥٢٦.

والنسائي في كتاب النعوت من سننه الكبرى، باب (٥٢) المعافاة والعقوبة، حديث رقم (٧٧٦٨) ٤/ ٤٢٠.

وفي عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٧٨ ـ ٤٧٩ عن أبي سلمة ـ ٤٨٠ ـ ٤٨١ ـ ٤٨٢) ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب (١٨٢) ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، حديث رقم (١٣٦٦) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ـ ٤٨٧ ـ ٥٠٤.

والدارمي في كتاب الأذان، باب (١٦٨) ينزل الله إلى السماء الدنيا، حديث رقم (١٤٧٨ عن أبي سلمة وحده ـ ١٤٧٩) ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣.

ومالك في الموطأ، في كتاب القرآن، باب (٨) ما جاء في الدعاء، حديث رقم (٣٠) ١/ ٢١٤.

وعبد بن حميد في المنتخب في المسند، حديث رقم (٨٦١) ص ٢٧٢.

وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٦٩) ص ١٣٢ عن أبي سلمة وحده.

وأبو عوانة في مسنده ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ عن الأغر وحده.

وعبد الرزاق في المصنف، حديث (١٩٦٥٣ ـ ١٩٦٥٤ عن الأغر وحده) ١٠/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥. =

وكلّ سائل راغب راهب، فهو عابد للمسؤول، وكلّ عابد له فهو - أيضاً - راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكلّ عابد سائل، وكلّ

= والدارمي في الرد على الجهمية، حديث رقم (١٢٤ عن الأغر وحده - ١٢٥ - ١٢٦) ص ٦٣ - ٦٤.

والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٧٥٣) ص ٢٦٤ عن الأغر وحده.

وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١١٨٠) ٢/ ٤٠٠ - ٤٠١ عن الأغر وحده، وحديث رقم (٥٩٣٦ عن الأغر وحده - ٥٩٣٧ عن أبي سلمة وحده) ١٠/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

وحديث رقم (٦١٥٥) ١١/ ١٥.

وابن خزيمة في التوحيد ص ١٢٦ - ١٢٩.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩١٩ عن أبي سلمة وحده - ٩٢٠ - ٩٢١ عن الأغر وحده) ٣/ ١٩٨ - ٢٠٢.

وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ عن أبي سلمة وحده - ٤٩٦ عن أبي سلمة - ٤٩٧ عن أبي سلمة) ص ٢١٧ - ٢١٨.

وحديث رقم (٥٠٠ - ٥٠١ عن الأغر وحده) ٢١٩ - ٢٢٠.

والآجري في الشريعة ص ٣٠٨ - ٣١٠.

واللالكائي في أصول الاعتقاد حديث رقم (٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ عن الأغر وحده - ٧٤٥ - ٧٤٦ عن الأغر وحده - ٧٤٧عن الأغر وحده) ٣/ ٤٣٥ - ٤٣٧.

والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٤١ - ١٤٨) ٢/ ٨٤٦ - ٨٤٨ عن الأغر وحده.

وهناد في الزهد، حديث رقم (٨٨٤) ٢/ ٤٤٧ عن أبي سلمة وحده.

والدارقطني في النزول ص ١٠٢ - ١٣٩.

والمروزي في قيام الليل، حديث رقم (٧٩) ص ١٤٥ - ١٤٦ (مختصره).

والبيهقي في الأسماء والصفات، ٢/ ١٩٤ - ١٩٦.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٩٤٧ الأغر وحده - ٩٤٨) ٤/ ٦٤ - ٦٦.

والمقدسي في الترغيب في الدعاء والحث عليه، حديث رقم (٣١) ص ٧٠ بتحقيقنا.

من طرق عن الأغر وأبي سلمة، عن أبي هريرة. وله طرق أخرى، انظر تخريجها في الترغيب في الدعاء والحث عليه برقم (٢٥) ص ٥٩ - ٦٣.

سائل عابد. فأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرّده عنه. ولكن إذا جمع بينهما: فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرّة بصيغ السؤال والطلب، ويراد بالعابد مَنْ يطلب ذلك بامتثال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ سؤال.

والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه هو ـ أيضاً ـ راج خائف راغب راهب: يرغب في حصول مراده، ويرهب من فواته. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] ولا يتصوّر أن يخلو داع لله ـ دعاء عبادة أو دعاء مسألة ـ من الرغب والرهب والخوف والطمع.

وما يذكر عن بعض الشيوخ أنه جعل الخوف والرجاء من مقامات العامة، فهذا قد يفسّر مراده بأنّ المقربين يريدون وجه الله فيقصدون التلذّذ بالنظر إليه، وإن لم يكن هناك مخلوق يتلذّذون به، وهؤلاء يرجون حصول هذا المطلوب ويخافون حرمانه، فلم يخلو عن الخوف والرجاء لكن مرجوهم ومخوفهم بحسب مطلوبهم.

ومَنْ قال من هؤلاء[1]: لم أعبدك شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك، فهو يظنّ أنّ الجنة اسم لما يتمتع فيه بالمخلوقات، والنار اسم لما لا عذاب فيه إلاّ ألم المخلوقات، وهذا قصور وتقصير منهم عن فَهْمِ مسمى الجنة، بل كلّ ما أعدّه الله لأوليائه فهو من الجنة، والنظر إليه هو من الجنة، ولهذا

---

(١) يحكى هذا عن رابعة العدوية، البصرية، الزاهدة العابدة، الخاشعة، أم عمرو، لها سيرة في جزء لابن الجوزي. انظر ترجمتها في السير ٨/ ٢٤١ ـ ٢٤٣.
والخوف من عذاب جهنم لا يخلو منه أحد من الخلق، وقد توعّد الله سبحانه بها خاصة خلقه على المعصية. =

كان أفضل الخلق يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار، ولما سأل بعض أصحابه عما يقول في صلاته؟ قال: إني أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال: «**حولها ندندن**»[1].

= ولم يزل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون يخافون النار ويخوّفون منها.

فأما ما يذكر عن بعض العارفين من عدم خشية النار، فالصحيح منه له وجه.

قال ابن المبارك: أنبأني عمر بن عبد الرحمٰن بن مهدي، سمعت وهب بن منبه، يقول: قال حكيم من الحكماء: إني لأستحي من الله ـ عز وجل ـ أن أعبده رجاء ثواب الجنة ـ أي قط ـ، فأكون كالأجير السوء إن أعطي عمل، وإن لم يعط لم يعمل، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار ـ أي: قط ـ، فأكون كعبد السوء إن رهب عمل، وإن لم يرهب لم يعمل، وإنه يستخرج حبه مني ما لا يستخرجه مني غيره. أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٥٣ ـ ٥٤ بهذا اللفظ.

وفي تفسير لهذا الكلام من بعض رواته، وهو أنه ذم العبادة على وجه الرجاء وحده، أو على وجه الخوف وحده، وهذا حسن.

وهؤلاء العارفون لهم ملحظان:

أحدهما: أنّ الله تعالى يستحق لذاته أن يطاع ويحب، ويبتغى قربه والوسيلة إليه، مع قطع النظر عن كونه يثيب عباده ويعاقبهم.

والثاني: أن أكمل الخوف والرجاء ما تعلّق بذات الحق سبحانه دون ما تعلّق بالمخلوقات من الجنة والنار، فأعلى الخوف خوف البعد والسخط والحجاب عنه سبحانه.

وانظر توسيع في هذه المسألة: التخويف من النار للحافظ ابن رجب ص ٢٣ ـ ٢٨.

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٢٧) في تخفيف الصلاة، حديث رقم (٧٩٢) ١/ ٢١٠.

وأحمد في المسند ٣/ ٤٧٤ من طريق زائدة، عن سليمان، عن أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

ورواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (٢٦) ما يقال في التشهد والصلاة، حديث رقم (٩١٠) بتحقيقنا.

وفي كتاب الدعاء، باب (٤) الجوامع من الدعاء، حديث رقم (٣٨٤٧). =

وقد أنكر على مَنْ قال هذا الكلام يعني: أسألك لذة النظر إلى وجهك، فريق من أهل الكلام، ظنّوا أنَّ الله لا يتلذّذ بالنظر إليه، وأنه لا نعيم إلاّ بمخلوق. فغلط هؤلاء في معنى الجنة كما غلط أولئك، لكن أولئك طلبوا ما يستحقّ أن يطلب، وهؤلاء أنكروا ذلك.

وأما التألّم بالنار فهو أمر ضروري، ومن قال: لو أدخلني النار لكنت راضياً، فهو عزم منه على الرضا. والعزائم قد تنفسخ عند وجود الحقائق، ومثل هذا يقع في كلام طائفة مثل سمنون[1] الذي قال:

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحني[2]

فابتلي بعسر البول فجعل يطوف على صبيان المكاتب، ويقول: ادعوا لعمّكم الكذاب. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

= وابن حبان، حديث رقم (٨٦٨)٣/١٤٩ ـ ١٥٠.
من طريق جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وسنده صحيح ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(١) هو سمنون بن حمزة الصوفي، ويقال: سمنون بن عبد الله، كنيته أبو القاسم صحب سرياً السقطي، ومحمد بن علي القصاب ورسوس وكان يتكلّم بالمحبة بأحسن كلام، من كبار مشايخ العراق، مات بعد الجنيد.

قال أبو نعيم: سمنون هو ابن حمزة الخواص أبو الحسن، وقيل: أبو بكر ـ بصري سكن بغداد، ومات قبل الجنيد، سمى نفسه سمنوناً الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها.

فليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فامتحني

فحصر بوله من ساعته، فسمى نفسه: سمنون الكذاب. انظر تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٠٩ ـ ٣١٢.

(٢) انظر البيت في تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٥، والحلية ١٠/ ٣١٠.

وبعض مَنْ تكلّم في علل المقامات جعل الحب والرضا والخوف والرجاء من مقامات العامة بناء على مشاهدة القدر. وأنّ مَنْ شهد القدر[1] فشهد توحيد الأفعال حتى فني مَنْ لم يكن وبقي مَنْ لم يزل، يخرج عن هذه الأمور، وهذا كلام مستدرك حقيقة وشرعاً.

أما الحقيقة فإنّ الحي لا يتصوّر أنْ لا يكون حساساً محباً لما يلائمه مبغضاً لما ينافره، ومَنْ قال: إنّ الحي يستوي عنده جميع المقدورات فهو أحد رجلين:

إما أنه لا يتصوّر ما يقول بل هو جاهل.

وإما أنه مكابر معاند ولو قدر أنّ الإنسان حصل له حال أزال عقله ـ سواء سمي اصطلاماً أو محواً أو فناء أو غشياً أو ضعفاً ـ فهذا لم يسقط إحساس نفسه بالكلية، بل له إحساس بما يلائمه وما ينافره، وإن سقط إحساسه ببعض الأشياء فإنه لم يسقط بجميعها.

فمن زَعَمَ أنَّ المشاهد لتوحيد الربوبية يدخل إلى مقام الجمع والفناء فلا يشهد فرقاً فإنه غالط، بل لا بد من الفرق فإنه أمر ضروري.

لكن إذا خرج عن الفرق الشرعي بقي في الفرق الطبعي، فيبقى متبعاً لهواه لا مطيعاً لمولاه.

ولهذا لما وقعت هذه المسألة، بين الجنيد[2] وأصحابه ذكر لهم «الفرق الثاني» وهو: أن يفرّق بين المأمور والمحظور، وبين ما يحبه الله وما

---

(١) كذا في نسختين، وفي نسخة: وأما مَنْ نظر إلى القدر إلخ.

(٢) هو شيخ الصوفية، الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، والده الخزاز.

ولد سنة نيف وعشرين ومائتين.

يكرهه مع شهوده للقدر الجامع، فيشهد الفرق في القدر الجامع. ومَنْ لم يفرّق بين المأمور والمحظور خرج عن دين الإسلام.

وهؤلاء الذين يتكلّمون في الجمع لا يخرجون عن الفرق الشرعي بالكلية وإن خرجوا عنه كانوا كفّاراً من شرّ الكفار، وهم الذين يخرجون إلى التسوية بين الرسل وغيرهم، ثم يخرجون إلى القول بوحدة الوجود، فلا يفرّقون بين الخالق والمخلوق؛ ولكن ليس كلّ هؤلاء ينتهون إلى هذا الإلحاد، بل يفرّقون من وجه دون وجه فيطيعون الله ورسوله تارة، ويعصون الله ورسوله تارة، كالعصاة من أهل القبلة. وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا: أنّ لفظ «الدعوة والدعاء» يتناول هذاوهذا؛ قال الله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠] وفي الحديث: «**أفضل الذكر لا إله إلاّ الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**» رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا[1].

= وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألّه وتعبّد، ونطق بالحكمة، وقلّ ما روى.
انظر ترجمته في سير إعلام النبلاء ١٤/٦٦ ـ ٧٠، وشذرات الذهب ٢/٢٢٨ ـ ٢٣٠، وتاريخ بغداد ٧/٢٤١ ـ ٢٤٩، وحلية الأولياء ١٠/٢٥٥ ـ ٢٨٧.

(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٩) ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم (٣٣٨٣) ٥/٤٦٢.
وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٥) فضل الحامدين، حديث رقم (٣٨٠٠) بتحقيقنا.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٨٣١) ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.
والحاكم في المستدرك ١/٤٩٨ ـ ٥٠٣.
وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، حديث رقم (١٠٢) ص ١١٣ بتقديم وتأخير.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٤٨٣) ٣/١٤٩٠ وفيه، أفضل الكلام. =

وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: «**دعوة أخي ذي النون، لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين: ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله كربته**».

سماها «دعوة»؛ لأنها تتضمّن نوعَي الدعاء:

فقوله: لا إلٰه إلا أنت: اعتراف بتوحيد الإلهية. وتوحيد الإلهية يتضمّن أحد نَوْعَيِ الدعاء؛ فإنّ الإله هو المستحق لأنْ يُدْعَى دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهو الله لاَ إلٰه إلاّ هو.

وقوله: «إني كنت من الظالمين»: اعتراف بالذنب، وهو يتضمّن طلب المغفرة؛ فإنّ الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر: إما بوصف حاله، وإما بوصف حال المسؤول، وإما بوصف الحالين، كقول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٧] فهذا ليس صيغة طلب، وإنما هو إخبار عن الله أنه إنْ لم يَغْفِرْ له ويرحمه خسر.

ولكن هذا الخبر يتضمّن سؤال المغفرة، وكذلك قول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] هو من هذا الباب.

= وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٨٤٦) ٣/ ١٢٦.
والبيهقي في الشعب ٤/ ٩٠ بتقديم وتأخير.
وفي الأسماء والصفات ١/ ١٧٩.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٦٩) ٥/ ٤٩.
قلت: سنده ضعيف، فيه:
١ ـ طلحة بن خراش: صدوق، إلاّ أنّ الأزدي قال: روى عن جابر مناكير. انظر تهذيب التهذيب ٥/ ١٥، والتقريب ١/ ٣٧٨.
٢ ـ موسى بن إبراهيم: ذكرى ابن حبان في الثقات وقال: وكان يخطىء. قال في التقريب ٢/ ٢٨٠: «صدوق يخطىء»، وانظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٣٣.
وقد صححه شيخنا في صحيحته ٣/ ٤٨٤ (١٤٩٧).

ومن ذلك قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] فإنّ هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير. وهو متضمّن لسؤال الله إنزال الخير إليه.

وقد روى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ شَغَلَهُ قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين**»[1]، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب (٢٥) حديث رقم (٢٩٢٦) ٥/ ١٨٤.
والدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب (٦) فضل كلام الله على سائر الكلام، حديث رقم (٣٣٥٦) ٢/ ٥٣٣.
وعبد الله في السنة، حديث رقم (١٢٨) ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠.
والدارمي في الرد على الجهمية، حديث رقم (٢٣٩) ص ١٦١.
والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٤٩.
وابن حبان في المجروحين ١/ ٢٧٧.
والحاكم في المستدرك ١/ ٥٦٨.
وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٠٦.
والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٣٧٢.
وفي الاعتقاد ص ١٠١ ـ ١٠٢.
والشجري في الأمالي ١/ ٧٨.
وأبو فضل الرازي في فضائل القرآن وتلاوته، حديث رقم (٧٦) ص ١١٠ ـ ١١١ من حديث أبي سعيد الخدري.
قلت: سنده ضعيف جداً، فيه:
١ ـ محمد بن الحسن بن يزيد الهمداني: قال أحمد: ما أراه يسوى شيئاً.
وقال مرة: ضعيف.
وقال أبو داود: ضعيف، بلغني عن أحمد أنه قال: لم يسمع حديثاً، وثب على كتب أبيه.
وقال أبو داود في موضع آخر: كذّاب.
وقال ابن معين: ليس بثقة. وقال مرة: يكذب.
وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال النسائي: متروك.

وروواه مالك بن الحويرث[1] وقال: «**مَنْ شَغَلَهُ ذكري عن مسألتي**

= وقال الدارقطني: لا شيء. انظر تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٠ ـ ١٢١، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٤٨ ـ ٤٩.

٢ ـ عطية العوفي: صدوق، يخطىء كثيراً، وهو مشهور بالتدليس القبيح. انظر التقريب ٢/ ٢٤، والكاشف ٢/ ٢٣٥، وطبقات المدلسين ص ١٣٠.

ويغني عنه ما في الباب، عن:

١ ـ **عمر**: رواه البخاري في التاريخ ١/ ٢/ ١١٥، وفي خلق أفعال العباد، حديث رقم (٥٤٤) ص ١٧٤ ـ ١٧٥: من شغله ذكري....، وابن حبان في المجروحين ١/ ٣٧٦.

والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٤٥٥) ٢/ ٣٢٦.

والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤١٣.

وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٦٥.

قال السيوطي في اللآلىء ٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣: «قال الحافظ ابن حجر في أماليه: هذا حديث حسن. أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد، عن أبي نعيم ضرار بن صرد، عن صفوان به، وأخرجه ابن شاهين في الترغيب من رواية يحيى الحماني، عن صفوان...» انظر بقية كلامه رحمه الله تعالى.

٢ ـ **جابر بن عبد الله**: رواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٥٨٤) ١/ ٣٤٠ وعنده: أبو الزبير، عن جابر، والبيهقي في الشعب ١/ ٤١٣ ـ ٤١٤ وعنده: يزيد بن خمير، عن جابر.

وسنده ضعيف، فيه:

الضحاك بن حمرة: ضعيف.

٣ ـ **حذيفة**: عند أبي نعيم في الحلية ٧/ ٣١٣ وفيه السدي: متّهم بالكذب.

٤ ـ **مالك بن الحارث**: رواه ابن المبارك في الزهد حديث رقم (٩٢٩) ص ٣٢٦.

والخطابي في شأن الدعاء ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

والبيهقي في الشعب ١/ ٤١٤.

وهو مرسل ـ صحيح السند.

(١) هو مالك بن الحارث السلمي الرقي، ويقال: الكوفي، من ثقات التابعين. انظر تهذيب التهذيب ١٠/ ١٢ ـ ١٣.

أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»[١]. وأظن البيهقي رواه مرفوعاً بهذا اللفظ[٢].

وقد سئل سفيان بن عيينة[٣] عن قوله: «**أفضل الدعاء يوم عرفة لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[٤] فذكر هذا الحديث، وأنشد قول أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جُدْعان:

أَأَذْكُرُ حَاجَتي أَمْ قَدْ كَفَاني ... حباؤك إنّ شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرّضه الثناء

---

(١) سبق تخريجه ضمن الحديث السابق.

(٢) رواه البيهقي مرفوعاً، لكن مرسلاً. كما سبق. وعن مالك بن الحارث، لا مالك بن الحويرث.

(٣) هو الإمام الحجة، الثقة، الحافظ الفقيه، سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد، الكوفي، ثم المكي.
من رؤوس طبقته. انظر التقريب ١/ ٣١٢.

(٤) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (١٢٣) في دعاء يوم عرفة، حديث رقم (٣٥٨٥) ٥/ ٥٧٢، والمحاملي في الدعاء، حديث رقم (٦٤) ص ١٦٩ ـ ١٧٠.
قلت: سنده ضعيف، فيه:
أبو إبراهيم: ضعيف، انظر سنن الترمذي ٥/ ٥٧٢.
وله شواهد يرتقي بها لدرجة الحسن لغيره:
١ ـ **طلحة بن عبيد الله بن كريز**: رواه مالك في الموطأ، في كتاب الحج، باب جامع الحج، حديث رقم (٢٤٦) ٢/ ٤٥٢.
والمحاملي في الدعاء، حديث رقم (٦٥) ص ١٧٠ ـ ١٧١، وهو مرسل صحيح الإسناد.
٢ ـ **عن علي**: رواه الطبراني في الدعاء، حديث رقم (٨٧٤) ٢/ ١٢٠٦.
والمحاملي في الدعاء، حديث رقم (٦٣) ص ١٦٨ ـ ١٦٩ وسنده ضعيف، فيه عند المحاملي موسى بن عبيدة ضعيف، وقيس بن الربيع عند الطبراني.
وانظر الفتوحات الربانية ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
٣ ـ **ابن عمر**: رواه الطبراني في الدعاء، حديث رقم (٨٧٥) ٢/ ١٢٠٦.
وسنده ضعيف، فيه فرج بن فضالة ضعيف.

قال: فهذا مخلوق يخاطب مخلوقاً، فكيف بالخالق تعالى[1].

ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى عليه السلام: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان» فهذا خبر يتضمن السؤال.

ومن هذا الباب قول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣] فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمّن سؤال رحمته بكشف ضره، وهي صيغة خبر تضمنت السؤال.

وهذا من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء، فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه: أنا جائع، أنا مريض، حسن أدب في السؤال. وإن كان في قوله: أطعمني وداوني ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب طلب جازم من المسؤول. فذاك فيه إظهار حاله وإخباره على وجه الذّل والافتقار المتضمّن لسؤال الحال، وهذا فيه الرغبة التامّة والسؤال المحض بصيغة الطلب.

وهذه الصيغة: صيغة الطلب والاستدعاء: إذا كانت لمن يحتاج إليه الطالب أو ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك، فإنها تقال على وجه الأمر:

إما لما في ذلك من حاجة الطالب.

وإما لما فيه من نفع المطلوب. فأما إذا كانت من الفقير من كلّ وجه للغني من كلّ وجه فإنها سؤال محض بتذلّل وافتقار وإظهار الحال.

ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال، وهو أبلغ من جهة العلم والبيان.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (٥٧٥) ١/ ٤١٤.
والخطابي في شأن الدعاء، رقم (١٤٢) ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧، وفي غريب الحديث ١/ ٧٠٩، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٤٧.

وذلك أظهر من جهة القصد والإرادة، فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني؛ لأنّ الطالب السائل يتصوّر مقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطابقة والقصد الأول، وتصريح به باللفظ، وإن لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسئول، فإنْ تضمّن وصف حالهما كان أكمل من النوعين فإنه يتضمّن الخبر والعلم المقتضي للسؤال والإجابة: ويتضمّن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال، فيتضمّن السؤال والمقتضي له والإجابة كقول النبي ﷺ ـ لأبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ لما قال له: علّمني دعاء أدعو به في صلاتي؟ فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلاّ أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» أخرجاه في الصحيحين[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب (١٤٩) الدعاء قبل السلام، حديث رقم (٨٣٤) ٢/ ٣١٧.

وفي كتاب الدعوات، باب (١٧) الدعاء في الصلاة، حديث رقم (٦٣٢٦) ١١/ ١٣١.

وفي كتاب التوحيد، باب (٩) ﴿**وكان الله سميعاً بصيراً**﴾، حديث رقم (٨٣٨٧ ـ ٧٣٨٨) ١٣/ ٣٧٢.

ومسلم في كتاب الذكر، باب (١٣) استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (٢٧٠٧) ٤/ ٢٠٧٨.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٩٧) حديث رقم (٣٥٣١) ٥/ ٥٤٣.

والنسائي في كتاب السهو، باب (٥٣) نوع آخر من الدعاء، ٣/ ٥٣.

وفي سننه الكبرى في كتاب النعوت، باب (٣٠) الغفور الرحيم، حديث رقم (٧٧١٠) ٤/ ٤٠٧.

وفي عمل اليوم والليلة، حديث رقم (١٧٩) ص ٢٢١.

وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب (٢) دعاء رسول الله ﷺ، حديث رقم (٣٨٣٥).

وأحمد في المسند ١/ ٣ ـ ٤ ـ ٧ ـ ٥١.

وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢) ١/ ٣٦ ـ ٣٨.

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٣٥٤) ٦/ ٤٦. =

فهذا فيه وصف العبد لـحال نفسه للمقتضي حاجته إلى المغفرة، وفيه وصف ربه الذي يوجب أنه لا يقدر على هذا المطلوب غيره، وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه، وفيه بيان المقتضي للإجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب.

وكثير من الأدعية يتضمّن بعض ذلك، كقول موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥] فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضي الإجابة.

وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] فيه وصف حال النفس والطلب.

وقوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] فيه الوصف المتضمّن للسؤال بالحال، فهذه أنواع لكلّ نوع منها خاصة.

يبقى أن يقال: فصاحب الحوت ومَنْ أشبهه، لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب؟.

فيقال: لأنّ المقام مقام اعتراف بأنّ ما أصابني من الشرّ كان بذنبي فأصل الشر هو الذنب، والمقصود دفع الضرّ، والاستغفار جاء بالقصد الثاني، فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره أنه مسيء ظالم. وهو الذي أدخل الضرّ على نفسه، فناسب حاله أن يذكر ما يرفع سببه من

= والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٦١٧) ٢/١٠٧٦ ـ ١٠٧٧.
وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٨٤٥ ـ ٨٤٦) ٢/٢٩ ـ ٣٠.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٩٧٦) ٥/٣١٣ ـ ٣١٤.
وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (٥) ص ٣٠.
والمروزي في مسند أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ، حديث رقم (٦٠ ـ ٦١) ص ١٠١ ـ ١٠٢.
والبيهقي في سننه ٢/١٥٤.

الاعتراف بظلمه، ولم يذكر صيغة طلب المغفرة؛ لأنه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني، بخلاف كشف الكَرْب فإنه مقصود له في حال وجوده بالقصد الأول، إذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني.

والمقصود الأول في هذا المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر، فهذا مقدم في قصده وإرادته، وأبلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده.

وهذا يتبيّن بالكلام على قوله: **سبحانك**: فإنّ هذا اللفظ يتضمّن تعظيم الرب وتنزيهه، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب، يقول: أنت مقدّس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب؛ بل أنا الظالم الذي ظلمت نفسي، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل: ١١٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [هود: ١٠١] وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٦] وقال آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

وكذلك قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفتاح: «**اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[1].

وفي صحيح البخاري: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي**

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب (٢٦) الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٧١) ١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٦.

وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٢٢) ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث رقم (٧٦٠) ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢. =

لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة»[1].

= والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٣٢) منه، حديث رقم (٣٤٢١ ـ ٣٤٢٢ ـ ٣٤٢٣) ٥/ ٤٨٥ ـ ٤٨٨.

والنسائي في كتاب الافتتاح، باب (٧) الذكر والدعاء بعد التكبير، ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠.

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (١٥) رفع اليدين إذا ركع، حديث رقم (٨٦٤) بتحقيقنا.

والدارمي في كتاب الصلاة، باب (٣٣) ما يقال بعد افتتاح الصلاة، حديث رقم (١٢٣٨) ١/ ٣٠٩.

وأحمد في المسند ١/ ٩٤ ـ ١٠٢.

والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٤٩٣ ـ إلى ـ ٤٩٨) ٢/ ١٠٢٦ ـ ١٠٣٠.

وابن حبان في صحيحه حديث رقم (١٧٧١ ـ إلى ـ ١٧٧٤) ٥/ ٦٨ ـ ٧٤.

والطحاوي في شرح المعاني ١/ ١٩٩ ـ ٢٣٩.

والدارقطني في سننه ١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

وأبو عوانة ١/ ١٠٢.

والبيهقي ٢/ ٣٣ ـ ٧٤.

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب (٢) أفضل الاستغفار، حديث رقم (٦٣٠٦) ١١/ ٩٧ ـ ٩٨.

والنسائي في كتاب الإستعاذة، باب (٥٧١) الإستغفار من شرّ ما صنع. .، ٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

وفي عمل اليوم والليلة، حديث رقم (١٩) ص ١٤٣ ـ ١٤٤، وحديث رقم (٤٦٤) ص ٣٣٣، وحديث رقم (٥٨٠) ص ٣٨٦.

وأحمد في المسند ٤/ ١٢٢ ـ ١٢٤ و١٢٤ ـ ١٢٥.

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٤٣٩) ٦/ ٥٦.

والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٦١٧) ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٥٨. =

فالعبد عليه أن يعترف بعدل الله وإحسانه، فإنه لا يظلم الناس شيئاً، فلا يعاقب أحداً إلاّ بذنبه، وهو يحسن إليهم، فكلّ نقمة منه عدل، وكلّ نعمة منه فضل.

فقوله: **لا إلٰه إلاّ أنت**: فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد؛ فإن «الإلٰه» هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحقّ أن يُعْبَدَ، وكونه يستحقّ أن يُعْبَدَ هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحبّ، المخضوع له غاية الخضوع؛ **والعبادة تتضمّن غاية الحب بغاية الذل**.

وقوله: سبحانك: يتضمّن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص؛ فإنّ التسبيح وإن كان يقال: يتضمّن نفي النقائص، وقد روي في حديث مرسل من مراسيل موسى بن طلحة، عن النبي ﷺ في قول العبد: سبحان الله: «**إنها براءة الله من السوء**»[1] فالنفي لا يكون مدحاً إلاّ إذا تضمّن

= وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٣٢ ـ ٩٣٣) ٣/ ٢١٢ ـ ٢١٤.

والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧١٧٢ ـ ٧١٧٣ ـ ٧١٧٤) ٧/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

وفي كتاب الدعاء، حديث رقم (٣١٢ ـ ٣١٣ ـ ٣١٦) ٢/ ٩٣٦ ـ ٩٣٩.

وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

وابن منده في التوحيد، حديث رقم (٢١٨) ٢/ ٧٩، وحديث رقم (٢٥٧) ٢/ ١١٣ ـ ١١٤.

والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٤٤٧.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٠٨) ٥/ ٩٣ ـ ٩٤ من طرق عن حسين المعلم، عن عبد الله بن بريدة، عن بشير بن كعب، عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه.

وله طرق أخرى انظر تخريجها في «الترغيب في الدعاء والحث عليه» برقم (٩١) بتحقيقي، ورسالتي «تحفة الأبرار بشرح حديث سيد الاستغفار».

(١) رواه الطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٧٥٣ ـ ١٧٥٤) ٣/ ١٥٩١ ـ ١٥٩٢. =

ثبوتاً وإلاّ فالنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله، ولله الأسماء الحسنى.

وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمّن إثبات محاسنه وكماله، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفي أخذ السِّنَة والنوم له يتضمّن كمال حياته وقيوميته. وقوله: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ۝٣٨ ﴾ [قٓ: ٣٨] يتضمن كمال قدرته، ونحو ذلك. فالتسبيح يتضمّن تنزيهه عن السوء، ونفي النقص عنه يتضمّن تعظيمه.

ففي قوله: (سبحانك) تبرئته من الظلم، وإثبات العظمة الموجبة له براءته من الظلم، فإنّ الظالم إنما يظلم لحاجته إلى الظلم أو لجهله، والله غني عن كلّ شيء، عليم بكلّ شيء، وهو غني بنفسه، وكلّ ما سواه فقير إليه، وهذا كمال العظمة.

وإيضاً ففي هذا الدعاء التهليل والتسبيح فقوله: **(لاإلٰه إلاّ أنت)** تهليل.

= والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٧٦.
وسنده رجاله ثقات إلا أنه مرسل.
قال البيهقي ١/ ٧٦: «هذا منقطع، وروي من وجه آخر»، ثم رواه بسنده عن طلحة بن عبد الله مرفوعاً: **«هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء»**.
ورواه البزار في مسنده.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٧٥١) ٣/ ١٥٩١، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٧، وسنده ضعيف جداً فيه:
١ ـ حفص بن سليمان الأسدي: متروك.
٢ ـ وعبد الرحمن بن حماد الطلحي: ضعيف متّهم.
وانظر مجمع الزوائد ١٠/ ٩٤.
ورواه الطبراني من طريق أخرى، حديث رقم (١٧٥٢) ٣/ ١٥٩١ وسنده ضعيف.
فيه أيوب بن سليمان، وسليمان بن أيوب.

وقوله: (سبحانك): تسبيح. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع. وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر**»[1].

والتحميد مقرون بالتسبيح وتابع له، والتكبير مقرون بالتهليل وتابع له، وفي الصحيح عن النبي ﷺ إنه سئل: أي الكلام أفضل؟.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (١٩) معلقاً، ١١/ ٥٦٦.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٨٤٧) ص ٤٨٧.
وأحمد في المسند ٥/ ١١ ـ ٢٠.
وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٦) فضل التسبيح، حديث رقم (٣٨١١) بتحقيقنا.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٨٦٩) ٦/ ١١٠.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٨٩٩) ص ١٢٢.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٨٣٩) ٣/ ١٢٠ من طريق هلال بن يساف عن سمرة بن جندب.
ـ ورواه من طريق الربيع بن عميلة، عن سمرة: مسلم في كتاب الآداب، باب
(٢) كراهية التسمي بالأسماء القبيحة، حديث رقم (٢١٣٧) ٣/ ١٦٨٥.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٨٤٥ ـ ٨٤٦) ص ٤٨٧.
وأحمد في المسند ٥/ ١٠ ـ ٢١.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٨٦٨) ٦/ ١٠٩.
وابن منده في التوحيد، حديث رقم (٧٣٤ ـ ٧٣٥ ـ ٧٣٦) ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.
والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٦٧٩١ ـ ٦٧٩٢) ٧/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
وفي الدعاء، حديث رقم (١٦٨٧) ٣/ ١٥٦٣، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٨٣٥) ٣/ ١١٦ ـ ١١٧، والخطيب في تاريخه ٥/ ٥.
والبيهقي في الشعب ١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤، وفي الأسماء والصفات ٢/ ٢٦١.
وفي الآداب، حديث رقم (٦٠٦) ص ٢٩٠.

قال: «**ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده**»[1].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلمان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[2].

وفي القرآن ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣] وقالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وهاتان الكلمتان إحداهما مقرونة بالتحميد، والأخرى بالتعظيم، فإنّا قد ذكرنا أنّ التسبيح فيه نفي السوء والنقائص المتضمّن إثبات المحاسن

= والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٧٦) ٥/ ٥٩.
وفي تفسيره ٣/ ١٤٣.

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب (٢٢) فضل سبحان الله وبحمده، حديث رقم (٢٧٣١) ٤/ ٢٠٩٣ ـ ٢٠٩٤.
والترمذي في كتاب الدعوات، باب (١٢٨) أي الكلام أحب إلى الله تعالى، حديث رقم (٣٥٩٣) ٥/ ٥٧٦.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٨٢٤ ـ ٨٢٥) ص ٤٧٨.
والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠١.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٦٧٧ ـ ١٦٧٨) ٣/ ١٥٥٨ ـ ١٥٥٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب (٦٥) فضل التسبيح، حديث رقم (٦٤٠٦) ١١/ ٢٠٦.
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (١٩) إذا قال الإمام: والله لا أتكلم..، حديث رقم (٦٦٨٢) ١١/ ٥٦٦.
وفي كتاب التوحيد، باب (٥٨) قول الله تعالى: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾، حديث رقم (٧٥٦٣) ١٣/ ٥٣٧.
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب (١٠) فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٢٩٦٤) ٤/ ٢٠٧٢. =

والكمال، والحمد إنما يكون على المحاسن. وقرن بين الحمد والتعظيم كما قرن بين الجلال والإكرام، إذ ليس كلّ معظم محبوباً محموداً، ولا كلّ محبوب محموداً معّظماً، وقد تقدّم أنّ العبادة تتضمّن كمال الحب المتضمن معنى الحمد، وتتضمّن كمال الذلّ المتضمن معنى التعظيم، ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن، وفيها الذلّ له الناشىء عن عظمته وكبريائه. ففيها إجلاله وإكرامه. وهو سبحانه المستحقّ للجلال والإكرام، فهو مستحق غاية الإجلال وغاية الإكرام.

= والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٦٠)، حديث رقم (٣٤٦٧) ٥/ ٥١٢.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٨٣٠) ص ٤٨٠.
وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٢.
وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٦) فضل التسبيح، حديث رقم (٣٨٠٦) بتحقيقنا.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٤١٣) ٦/ ٥٣.
وحديث رقم (٣٥٠٢٦) ٧/ ١٦٧.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٦٠٩٦) ١٠/ ٤٨٣.
والبخاري في خلق أفعال العباد، حديث رقم (٢٢٦) ص ٧٤.
وابن منده في التوحيد، حديث رقم (٧٣٧) ٣/ ٢٣١.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٦٩٢) ٣/ ١٥٦٥ ـ ١٥٦٦.
واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (٢٢٠٣) ٦/ ١١٧١ ـ ١١٧١.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٨٣١) ٣/ ١١٢ ـ ١١٣.
وحديث رقم (٨٤١) ٣/ ١٢١ ـ ١٢٢.
وابن أبي زمنين في أصول السنة، حديث رقم (٩١) ص ١٦٤.
وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٤٠٠ ـ ٤٠١.
والجوزقاني في الأباطيل، حديث رقم (٢٩٥) ١/ ٣١٥.
والبكري في الأربعين حديثاً، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.
والبيهقي في الشعب ١/ ٤٢٠، وفي الاعتقاد ص ٢١٠ ـ ٢١١، وفي الأسماء والصفات ٢/ ٢٦١.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٦٤) ٥/ ٤٢، وفي تفسيره ٣/ ٤٨٠.
والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٤٩٢٠) ٣/ ٣٤٣.

ومن الناس من يحسب أنّ «**الجلال**» هو الصفات السلبية، و«**الإكرام**» الصفات الثبوتية، كما ذكر ذلك الرازي ونحوه.

والتحقيق أنّ كليهما صفات ثبوتية. وإثبات الكمال يستلزم نفي النقائص، لكن ذكر نوعي الثبوت وهو ما يستحقّ أنْ يحبّ وما يستحقّ أنْ يعظم: كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦] وقول سليمان عليه السلام: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠] وكذلك قوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١] فإنّ كثيراً ممن يكون له الملك والغنى لا يكون محموداً بل مذموماً؛ إذ الحمد يتضمّن الإخبار عن المحمود بمحاسنه المحبوبة، فيتضمّن إخباراً بمحاسن المحبوب محبة له.

وكثير ممن له نصيب من الحمد والمحبة يكون فيه عجز وضعف وذلّ ينافي العظمة والغنى والملك. فالأول يهاب ويخاف ولا يحب. وهذا يحب ويحمد، ولا يهاب ولا يخاف. والكمال اجتماع الوصفين. كما ورد في الأثر: «**إنّ المؤمن رزق حلاوة ومهابة**».

وفي نعت النبي ﷺ: «**كان مَنْ رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه**»[1].

---

(١) جزء من حديث علي الطويل في صفة النبي ﷺ: رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب (٨) ما جاء في صفة النبي ﷺ، وحديث رقم (٣٦٣٨) ٥/٥٩٩ ثم قال: «هذا حديث حسن غريب، ليس إسناده بمتصل» اهـ.
وفي الشمائل، حديث رقم (٧ ـ ١٩ ـ ١٢٤) بتحقيقنا.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٣٧٠) ١/٣٠٤
وابن سعد في الطبقات ١/٤١١ ـ ٤١٢.
والبيهقي في الشعب ٢/١٤٩ ـ ١٥٠، وفي الدلائل ١/٢٦٩ ـ ٢٧٠.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٦٥٠) ١٣/٢٢٦ ـ ٢٢٧.
وفي الشمائل، حديث رقم (٤٦٠) ١/٣٥٠ ـ ٣٥١.
قلت: سنده ضعيف، فيه:

فقرن التسبيح بالتحميد، وقرن التهليل بالتكبير؛ كما في كلمات الأذان. ثم إنّ كلّ واحد من النوعين يتضمّن الآخر إذا أفرد: فإنّ التسبيح والتحميد يتضمّن التعظيم؛ ويتضمّن إثبات ما يحمد عليه، وذلك يستلزم الإلهية؛ فإنّ الإلهية تتضمّن كونه محبوباً؛ بل تتضمّن أنه لا يستحقّ كمال الحب إلاّ هو. والحمد هو الإخبار عن المحمود بالصفات التي يستحق أن

= ١ ـ إبراهيم بن محمد: لم يدرك علياً، كما في التحفة ٧/ ٣٤٧.
قال أبو زرعة: إبراهيم بن محمد ـ من ولد علي ـ عن علي: مرسل.
وانظر المراسيل لابن أبي حاتم ص ١١، وتهذيب التهذيب ١/ ١٥٧.
وإبراهيم في نفسه صدوق، كما في التقريب ١/ ٤٢.
٢ ـ عمر مولى غفرة: ضعيف، وكان كثير الإرسال. انظر التقريب ٢/ ٥٩، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.

قلت: ولكن له طرق ـ يرتقي بها ـ إن شاء الله تعالى ـ لدرجة الحسن لغيره، منها:

١ ـ ما رواه ابن سعد في الطبقات ١/ ٤١٠ من طريق مجمع بن يحيى الأنصاري، عن عبد الله بن عمران، عن رجل من الأنصار، أنه سأل علياً.. فذكره بأطول منه. وفيه الرجل المبهم.

٢ ـ ورواه ـ أيضاً ـ ١/ ٤١١ من طريق يوسف بن مازن الراسبي، أن رجلاً قال لعلي: انعت لنا النبي ﷺ.. فذكره نحوه مختصراً.

٣ ـ ورواه أيضاً ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣ من طريق عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه نحوه بأتم منه.

وعبد الله بن محمد: مقبول، كما في التقريب ١/ ٤٤٨.

٤ ـ ورواه المقدسي في شمائله، حديث رقم (٣) بتحقيقي، وابن سعد في الطبقات ١/ ٤١٠ ـ ٤١١ من طريق حماد بن سلمة، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعضه.

وعبد الله بن عقيل: صدوق، في حديثه لين، ويقال: تغيّر بأخرة، كما في التقريب ١/ ٤٤٨. وباقي رجاله ثقات.

فيرتقي الحديث بهذه الطرق ـ إن شاء الله تعالى ـ لدرجة الحسن لغيره.

وله شواهد انظر تخريجها في الشمائل للترمذي برقم (٥ ـ ٦ ـ ٨) بتحقيقي.

وقد ضعّفه شيخنا المحدث شامة عصره محمد ناصر الدين الألباني في اختصاره للشمائل، والله تعالى أعلم بالصواب.

يحبّ فالإلهية تتضمّن كمال الحمد: ولهذا كان «الحمد لله» مفتاح الخطاب؛ وكلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم[1].

«**وسبحان الله**»: فيها إثبات عظمته كما قدمناه؛ ولهذا قال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الواقعة: ٧٤] وقد قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**»[2] رواه أهل السنن.

وقال: «**أمّا الركوع فعظّموا فيه الربّ، وأمّا السجود فاجتهدوا فيه**

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب (١٨) الهدي في الكلام، حديث رقم (٤٨٤٠) ٤/ ٢٦١ وأشار إلى ارساله.
وابن ماجه في كتاب النكاح، باب (١٩) خطبة النكاح، حديث رقم (١٨٩٤).
والدارقطني ١/ ٢٢٩.
وهو ضعيف، والصحيح فيه الإرسال، كما جزم الدارقطني، وأشار إليه أبو داود.
وللاضطراب في متن الحديث.
انظر تخريجنا لسنن ابن ماجه برقم (١٨٩٤).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة. باب (١٤٧) ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، حديث رقم (٨٦٩) ١/ ٢٣٠.
وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (٢٠) التسبيح في الركوع والسجود، حديث رقم (٨٨٧) بتحقيقي.
والدارمي في كتاب الصلاة، باب (٦٩) ما يقال في الركوع، حديث رقم (١٣٠٥) ١/ ٣٤١.
وأحمد في المسند ٤/ ١٥٥.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (١٠٠٠) ص ١٣٥.
وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٦٠٠ ـ ٦٠١) ١/ ٣٠٣.
وحديث رقم (٦٧٠) ١/ ٣٣٣.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٦٣٨) ٣/ ٢٧٩.
والطحاوي في شرح المعاني ١/ ٢٣٥.
والحاكم في المستدرك ١/ ٢٢٥ ـ و٢/ ٤٧٧.

بالدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»[1] رواه مسلم. فجعل التعظيم في الركوع أخص منه بالسجود، والتسبيح يتضمّن التعظيم.

= والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٨٨٩ ـ ٨٩٠ ـ٨٩١) ١٧/ ٣٢١ ـ ٣٢٢.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٨٩٨) ٥/ ٢٢٥.

والبيهقي في سننه ٢/ ٨٦.

والمزي في تهذيب الكمال ١/ ١٢٧.

قلت: سنده ضعيف، فيه:

١ ـ إياس بن عامر: قال العجلي: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات، وصحح له ابن خزيمة.

ولكن لم يرو عنه غير ابن أخيه موسى بن أيوب، ولهذا قال الذهبي في التلخيص: ليس بالقوي. وقال في الميزان: ليس بالمعروف.

انظر تهذيب التهذيب ١/ ٣٨٩، والتقريب ١/ ٨٧.

٢ ـ موسى بن أيوب الغافقي: قال ابن معين: منكر الحديث.

تنكر عليه ما روى عن عمه مما رفعه.

وكذا قال الساجي. وذكره العقيلي في الضعفاء.

وقال إسحاق بن منصور وعباس الدوري: عن ابن معين وأبي داود: ثقة.

انظر العقيلي في الضعفاء ٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٣٦، والتقريب ٢/ ٢٨١، وقال: «مقبول» اهـ.

(١) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب (٤١) النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٧٩) ١/ ٣٤٨.

وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٥٢) في الدعاء في الركوع والسجود، حديث رقم (٨٧٦) ١/ ٢٣٢.

والنسائي في كتاب التطبيق، باب (٩) تعظيم الرب في الركوع، ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

باب (٦١) الأمر بالاجتهاد في الدعاء والسجود، ٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨، وفي سننه الكبرى، في كتاب التعبير، باب (١) الرؤيا، حديث رقم (٧٦٢٣) ٤/ ٣٨٢.

وابن ماجه في كتاب تعبير الرؤياء، باب (١) الرؤياء الصالحة يراها المسلم، حديث رقم (٣٨٩٩)، وأحمد في المسند ١/ ٢١٩.

والدارمي في كتاب الصلاة، باب (٧٧) النهي عن القراءة في الركوع والسجود، حديث رقم (١٣٢٥) ١/ ٣٤٩.

ففي قوله: «سبحان الله وبحمده»: إثبات تنزيه وتعظيمه وإلٰهيته وحمده. وأما قوله: **«لا إله إلاّ الله والله أكبر»** ففي لا إلٰه إلا الله إثبات محامده؛ فإنها كلّها داخلة في إثبات إلٰهيته.

وفي قوله: «الله أكبر» إثبات عظمته، فإنّ الكبرياء تتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل.

ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: **«الله أكبر»** فإنّ ذلك أكمل من قول: الله أعظم، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما عذّبته»**[1] فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أنّ الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرّح بلفظه، وتضمّن ذلك التعظيم.

وفي قوله: «سبحان الله»، صرّح فيها بالتنزيه من السوء المتضمّن

وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٢٨٣٩) ٢/١٤٦.
وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٣٨٧) ٤/ ٢٧٥.
وأبو عوانة في مسنده، ٢/ ١٧٠ ـ ١٧١.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٣٠٤٥٦) ٦/ ١٧٣.
والطحاوي في شرح المعاني ١/ ٨٢٣٤.
وابن الجارود في المنتقى رقم (٢٠٣) ١/ ١٨٨.
وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٥٤٨) ١/ ٢٧٦.
وحديث رقم (٦٠٢) ١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٨٩٦) ٥/ ٢٢٢.
وحديث رقم (١٩٠٠) ٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
وحديث رقم (٦٠٤٥ ـ ٦٠٤٦) ١٣/ ٤١٠ ـ ٤١١.
والبيهقي في سننه ٢/ ٨٨ ـ ١١٠.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٦٢٦) ٣/ ١٠٧.

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب (٣٨) تحريم الكبر، حديث رقم (٢٦٢٠) ٤/ ٢٠٢٣.
=

للتعظيم، فصار كلّ من الكلمتين متضمّناً معنى الكلمتين الأخريين إذا أفردتا، وعند الاقتران تعطى كلّ كلمة خاصيتها.

وهذا كما أنّ كلّ اسم من أسماء الله فإنه يستلزم معنى الآخر؛ فإنه يدلّ على الذات، والذات تستلزم معنى الاسم الآخر، لكن هذا باللزوم. وأما دلالة كلّ اسم على خاصيته وعلى الذات بمجموعهما فبالمطابقة، ودلالتها على أحدهما بالتضمّن.

= وأبو داود في كتاب اللباس، باب (٢٥) ما جاء في الكبر، حديث رقم (٤٠٩٠) ٤/ ٥٩.
وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (١٦) البراءة من الكبر والتواضع، حديث رقم (٤١٧٤).
وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٨ ـ ٣٧٦ ـ ٤١٤ ـ ٤٢٧ ـ ٤٤٢.
وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٦٥٧٩) ٥/ ٣٢٩.
والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٣٨٧) ص ٣١٤.
والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٥٥٢) ص ١٩٤.
وتمام في فوائده، حديث رقم (٢٣) ١/ ٩٢ ـ ٩٣.
وهناد في الزهد، حديث رقم (٨٢٥) ٢/ ٤٢١.
والحميدي في مسنده، حديث رقم (١١٤٩) ٢/ ٤٨٦.
والقضاعي في مسنده الشهاب، حديث رقم (١٤٦٣ ـ ١٤٦٤ ـ ١٤٦٥) ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.
وابن عدي في الكامل ٥/ ٣٦٤.
وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٢٨) ٢/ ٣٥ ـ ٣٦.
وحديث رقم (٥٦٧١ ـ ٥٦٧٢) ١٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧.
وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول، حديث رقم (١٩٥) ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
والخرائطي في مساوىء الأخلاق، حديث رقم (٥٧٦) ص ٢٣٤.
والدارقطني في العلل ٧/ ٢٨٩ ـ ٢٩١.
والخطيب في تاريخه ١٣/ ٢٩٠.
والديلمي في الفردوس، ٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩١.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٥٩٢) ١٣/ ١٦٩.

فقول الداعي: **لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك**: يتضمّن معنى الكلمات الأربع اللاتي هنّ أفضل الكلام بعد القرآن. وهذه الكلمات تتضمّن معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ففيها كمال المدح.

وقوله: **إني كنت من الظالمين**: فيه اعتراف بحقيقة حاله، وليس لأحد من العباد أن يبـرأ عن هذا الوصف، لا سيما في مقام مناجاته لربه. وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**».

وقال: «**مَنْ قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**»[1].

فمن ظنّ أنه خير من يونس بحيث يعلم أنه ليس عليه أن يعترف بظلم نفسه فهو كاذب، ولهذا كان سادات الخلائق لا يفضلون أنفسهم على يونس في هذا المقام، بل يقولون، كما قال أبوهم آدم وخاتمهم محمد ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٣٥) قول الله تعالى: ﴿**وإن يونس لمن المرسلين**﴾ ، حديث رقم (٣٤١٥ ـ ٣٤١٦) ٦/ ٤٥٠ ـ ٤٥١.

وفي كتاب التفسير، باب (٢٦) ﴿**إنا أوحينا إليك**﴾، حديث رقم (٤٦٠٤) ٨/ ٢٦٧.

وفي سورة الأنعام، باب (٤) ﴿**ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين**﴾، حديث رقم (٤٦٣١) ٨/ ٢٩٤.

وسورة الصافات، باب (١) ﴿**وإن يونس لمن المرسلين**﴾، حديث رقم (٤٨٠٥) ٨/ ٥٤٣.

ومسلم في كتاب الفضائل، باب (٤٣) في ذكر يونس عليه السلام، حديث رقم (٢٣٧٦) ٤/ ١٨٤٦.

وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٥ ـ ٥٣٩.

والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٥٣١) ص ٣٣٠.

والطحاوي في شرح المعاني ٤/ ٣١٦.

والإيمان لابن منده، حديث رقم (٧٢٠) ٢/ ٧٣٥.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٢٣٨) ١٤/ ١٣٢.

فصـل
[سبب إيجابها لكشف الضرّ]

وأما قول السائل: لم كانت موجبة لكشف الضر؟

فذلك لأنّ الضرّ لا يكشفه إلاّ الله. كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧] والذنوب سبب للضرّ، والاستغفار يزيل أسبابه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] فأخبر أنه سبحانه لا يعذّب مستغفراً. وفي الحديث: «**مَنْ أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً، ومن كلّ ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[1]، **وقال تعالى**: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب (٢٦) في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٨) ٢/ ٨٥.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٥٦) ص ٣٣٠ ـ ٣٣١، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٧) الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٩)، وأحمد في المسند ١/ ٢٤٨، وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٦٤) ص ١٣٠ ـ ١٣١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦٢.

وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، حديث رقم (٨) ص ٣٠ ـ ٣١.

وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٢١١.

والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (١٠٦٦٥) ١٠/ ٣٤٢، وفي الدعاء، حديث رقم (١٧٧٤) ٣/ ١٥٩٨ ـ ١٥٩٩. =

فقوله: إني كنت من الظالمين: اعتراف بالذنب، وهو استغفار؛ فإنّ هذا الاعتراف متضمّن طلب المغفرة.

وقوله: لا إلٰه إلاّ أنت: تحقيق لتوحيد الإلٰهية؛ فإنّ الخير لا موجب له إلاّ مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، والمعوق له من العبد هو ذنوبه، وما كان خارجاً عن قدرة العبد فهو من الله، وإن كانت أفعال العباد بِقَدَرِ الله تعالى، لكنّ الله جعل فعل المأمور وترك المحظور سبباً للنجاة والسعادة، فشهادة التوحيد تفتح باب الخير، والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر.

ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلّق رجاءه إلاّ بالله[1]، ولا يخاف من الله أن

= وابن نصر في قيام الليل حديث رقم (٨٧) ص ٢٥٢ ـ ١٥٣ (المختصر).
وابن حبان في المجروحين ١/ ٢٤٩.
والبيهقي في السنن ٣/ ٣٥١، وفي شعب الإيمان ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٩٦) ٥/ ١٩.
قلت: سنده ضعيف، فيه:
١ ـ الوليد بن مسلم: لم يصرّح بالتحديث في سائر طبقات السند.
٢ ـ الحكم بن مصعب: قال أبو حاتم: مجهول، انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٤٣٩، والتقريب ١/ ١٩٢.

(١) قال الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان: والرجاء على وجوه:
أحدها: رجاء الظفر بالمطلوب، والوصول إلى المحبوب.
والثاني: رجاء دوامه بعد ما حصل.
والثالث: رجاء دفع المكروه وصرفه كي لا يقع.
والرابع: رجاء الدفع والإحاطة لما قد وقع.
وإذا استحكم الرجاء حدث عنه من التخشّع والتذلل نحو ما يحدث عن الخوف إذا استحكم؛ لأنّ الخوف والرجاء متناسبان، إذ الخائف في حال خوفه يرجو خلاف ما يخافه، وبدعو الله ـ عز وجل ـ به ويسأله إياه.
والراجي في حال رجائه خائف ما يرجو، ويستعيذ بالله منه، ويسأله صرفه، ولا خائف إلا وهو راج، ولا راجي إلا وهو خائف. انظر شعب االإيمان ٢/ ٣.

يظلمه: فإنّ الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون: بل يخاف أن يجزيه بذنوبه، وهذا معنى ما روي عن عليّ - رضي الله عنه - أنه قال: لا يرجونّ عبد إلاّ ربه، ولا يخافنّ إلاّ ذنبه.

وفي الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ: «إنه دخل على مريض فقال: **«كيف تجدك»**؟.

فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي.

فقال: **«ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»**(١).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، باب (١١)، حديث رقم (٩٨٣) ٣/ ٣١١.
والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (١٠٦٢) ص ٥٧٥ - ٥٧٦.
وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٣١) ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (٤٢٦١) بتحقيقنا.
وأحمد في الزهد، حديث رقم (١٣٢) ص ٤٦.
وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (١٣٧٠) ص ٤٠٤.
وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٠٤ - ١٠٥
وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٩٢.
وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله، حديث رقم (٣١) ص ٣٨ - ٣٩.
والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٠٠١ - ١٠٠٢) ٢/ ٤ - ٥.
وفي الآداب، حديث رقم (١١٤٧) ص ٥٠٧ - ٥٠٨ من طريق جعفر، عن ثابت، عن أنس.
قلت: اختلف فيه على جعفر:
أ - فرواه سيار بن حاتم، عن جعفر بن سليمان: عن ثابت، عن أنس مرفوعاً. كما هو معنا.
ب - وخالفُه: أبو الظفر عبد السلام بن المطهر، - قال أبو حاتم: صدوق، كما في التهذيب ٦/ ٣٢٥ - فرواه عن جعفر، عن ثابت عن النبي ﷺ مرسل، ولم يذكر أنساً، وهو أشبه، كما قال أبو حاتم. انظر العلل ٢/ ١٠٤ - ١٠٥.
رواه ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٠٤ - ١٠٥.
والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٤٥٦) ٥/ ٢٧٤ - ٢٧٥.
قلت: ورواية أبي الظفر أوثق، لأنّ سياراً: =

فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلّق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله؛ فإنّ تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسباباً فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بد له من معاون، ولا بدّ أن يمنع المعارض المعوق له، وهو لا يحصل ويبقى إلاّ بمشيئة الله تعالى.

ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨] فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة: ٢٣] فالقلب لا يتوكل إلاّ على مَنْ يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكلّ على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقاً أو توكلّ عليه إلاّ خاب ظنّه فيه فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١].

وكذلك المشرك يخاف المخلوقين، ويرجوهم، فيحصل له رعب كما

= قال أبو أحمد الحاكم: في حديثه بعض المناكير.

وقال العقيلي: أحاديثه مناكير ضعّفه ابن المديني.

وقال الأزدي: عنده مناكير. انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٠. وتابع يحي بن عبد الحميد الحماني: سياراً، عند البيهقي في الشعب، حديث رقم (١٠٠٢) ٢/ ٤ ولكن يحيى: حافظ، إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث، انظر التقريب ٢/ ٣٥٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٩.

ـ وقد اختلف فيه على ثابت:

فرواه حماد بن سلمة، فقال: عن ثابت، عن عبيد بن عمير مرسلاً:

ذكره البيهقي في الشعب، حديث رقم (١٠٠٢ ـ مكرر) ٢/ ٥.

وفي الآداب ص ٥٠٨.

وفي الباب، عن عمر:

رواه البيهقي في الشعب، حديث رقم (١٠٠٣) ٢/ ٥.

قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٥١] والخالص من الشرك يحصل له الأمن، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقد فسّر النبيُّ ﷺ الظلمَ هنا بالشرك. ففي الصحيح عن ابن مسعود: «إنّ هذه الآية لما نزلت شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟.

فقال النبي ﷺ: «**إنما هذا الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح**: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣][1].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٢٣) ظلم دون ظلم، حديث رقم (٣٢) ١/ ٨٧.

وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٨) قول الله تعالى: ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾، حديث رقم (٣٣٦٠) ٦/ ٣٨٩.

وباب (٤١) قول الله تعالى: ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله**﴾، حديث رقم (٣٤٢٨ ـ ٣٤٢٩) ٦/ ٤٦٥.

وفي كتاب التفسير، سورة الأنعام، باب (٣) ﴿**ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾، حديث رقم (٤٦٢٩) ٨/ ٢٩٤.

وسورة لقمان، باب (١) ﴿**لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾، حديث رقم (٤٧٧٦) ٨/ ٥١٣.

وفي كتاب استتابة المرتدين، باب (١) إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، حديث رقم (٦٩١٨) ١٢/ ٢٦٤.

وباب (٩) ما جاء في المتأولين، حديث رقم (٦٩٣٧) ١٢/ ٣٠٣.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٥٦) صدق الإيمان وإخلاصه، حديث رقم (١٢٤) ١/ ١١٤ ـ ١١٥.

والترمذي في كتاب التفسير، باب (٧) ومن سورة الأنعام، حديث رقم (٣٠٦٧) ٥/ ٢٦٢. =

شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧].

ولهذا يذكر الله الأسباب، ويأمر بأن لا يعتمد عليها، ولا يرجى إلاّ الله، قال تعالى لما أنزل الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦] وقال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقد قدّمنا أنّ الدعاء نوعان:

دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

وكلاهما لا يصلح إلاّ لله، فمن جعل مع الله إلهاً آخر قعد مذموماً مخذولاً، والراجي سائل طالب فلا يصلح أن يرجو إلاّ الله، ولا يسأل غيره؛

= والنسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى، سورة الأنعام، باب (١٣٤) ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾، حديث رقم (١١١٦٦) ٦/٣٤١.

وسورة لقمان، باب (٢٧١) قوله تعالى: ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾، حديث رقم (١٣٠٩) ٦/٤٢٧.

وأحمد في المسند ١/٣٨٧ ـ ٤٢٤ ـ ٤٤٤، وأبو عوانة في مسنده ١/٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥١٥٩) ٩/٩٢، والطبري في تفسيره ٥/٢٥١ ـ ٢٥٢، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٧٠) ص ٣٥ ـ ٣٦، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٢٦٥ ـ إلى ـ ٢٦٨) ١/٤١٧ ـ ٤١٩.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٥٣) ١/٤٨٧ ـ ٤٨٨، والبيهقي في سننه ١٠/١٨٥، والبغوي في التفسير ٢/١١٢.

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك**»[1]. فالمشرف الذي يستشرف بقلبه، والسائل الذي يسأل بلسانه.

وفي الحديث الذي في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: أصابتنا فاقة فجئت رسول الله ﷺ لأسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول: «**أيها الناس والله! مهما يكن عندنا من خير فلن ندخره عنكم، وإنه مَنْ يستغن يغنه الله، ومَنْ يستعفف يعفه الله، ومَنْ يتصبّر يصبّره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب (٥١) من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة، حديث رقم (١٤٧٣) ٣/ ٣٣٧، وحديث رقم (٧١٦٣ ـ ٧١٦٤).

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٣٧) إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف، حديث رقم (١٠٤٥) ٢/ ٧٢٣.

والنسائي في كتاب الزكاة، باب (٩٤) من آتاه الله عز وجل مالاً من غير مسألة، ٥/ ١٠٥.

والدارمي في كتاب الزكاة، باب (١٩) النهي عن رد الهدية، حديث رقم (١٦٤٧ ـ ١٦٤٨ ـ ١٦٤٩) ١/ ٤٧٥، وأحمد في المسند ١/ ١٧ ـ ٢١ ـ ٤٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب (٥٠) الاستعفاف في المسألة، حديث رقم (١٤٦٩) ٣/ ٣٣٥.

وفي كتاب الرقاق، باب (٢٠) الصبر على محارم الله، حديث رقم (٦٤٧٠) ١١/ ٣٠٣.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٢) فضل التعفف، حديث رقم (١٠٥٣) ٢/ ٧٢٩.

وأبو داود في كتاب الزكاة، باب (٢٨) الاستعفاف، حديث رقم (١٦٤٤) ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢.

والترمذي في كتاب البر والصلة، باب (٧٧) ما جاء في الصبر، حديث رقم (٢٠٢٤) ٤/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

والنسائي في كتاب الزكاة، باب (٨٥) الاستعفاف عن المسألة، ٥/ ٩٥ ـ ٩٦. =

والاستغناء: أن لا يرجو بقلبه أحد فيستشرف إليه.

والاستعفاف: أن لا يسأل بلسانه أحداً؛ ولهذا لما سئل أحمد بن حنبل عن التوكل؟ فقال: قطع الاستشراف إلى الخلق[1].

أي: لا يكون في قلبك أنّ أحداً يأتيك بشيء.

فقيل له: فما الحجة في ذلك؟ فقال: قول الخليل لما قال له جبرائيل: هل لك من حاجة؟

فقال: «**أما إليك فلا**»[2].

فهذا وما يشبهه مما يبيّن أنّ العبد في طلب ما ينفعه ودفع ما يضرّه لا

= ومالك في الموطأ، في كتاب الصدقة، باب (٢) ما جاء في التعفف عن المسألة، حديث رقم (٧) ٢/ ٩٩٧.

والدارمي في كتاب الزكاة، باب (١٨) في الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٦٤٦) ١/ ٤٧٤.

وأحمد في المسند ٣/ ٣ ـ ١٢ ـ ٤٧ ـ ٩٣، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٣٥٢) ٢/ ٥٠٥، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٢٠٠١٤) ١١/ ٩٢ ـ ٩٣، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٤٠٠) ٨/ ١٩٣، والبيهقي في سننه ٤/ ١٩٥، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٦١٣) ٦/ ١١٠.

(١) روى البيهقي في الشعب ٢/ ٩٩، عن علي بن أحمد البوشنجي، أنه سئل عن التوكل؟.

فقال: التبرئة من حولك وقوتك، وحولِ مثلك قوة مثلك.

وروى ٢/ ١٠٠ عن أبي سهل محمد بن سليمان: التوكل أن لا يخطر بقلبك نافعاً ولا ضاراً غيره، وأن تستسلم لكل حال يرد عليك، ولا يضطرب قلبك منه.

(٢) روى البيهقي في شعب الإيمان. حديث رقم (١٢٩٣) ٢/ ١٠٤ ذلك عن أبي يعقوب النهرجوري قال: التوكل على كمال الحقيقة، وقع لإبراهيم خليل الرحمن في تلك الحال التي قال لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا. لأنه غابت نفسه بالله، فلم يَرَ مع الله غير الله، وكان مهاباً بالله من الله إلى الله بلا واسطة، وهو من علاقات التوحيد واظهار القدرة لنبيّه عليه السلام.

يوجّه قلبه إلاّ إلى الله؛ فلهذا قال المكروب: **لا إلٰه إلاّ أنت**، ومثل هذا ما في الصحيحين عن ابن عباس: أنّ النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إلٰه إلاّ الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلاّ الله ربّ العرش العظيم. لا إلٰه إلاّ الله ربّ السموات وربّ الأرض ربّ العرش الكريم**»[1] فإنّ هذه الكلمات فيها تحقيق

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب (٢٧) الدعاء عند الكرب، حديث رقم (٦٣٤٥ ـ ٦٣٤٦) ١١/ ١٤٥.

وفي كتاب التوحيد، باب (٢٢) ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾، حديث رقم (٧٤٢٦) ١٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

وباب (٢٣) قول الله تعالى: ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾، حديث رقم (٧٤٣١) ١٣/ ٤١٥.

ومسلم في كتاب الذكر، باب (٢١) دعاء الكرب، حديث رقم (٢٧٣٠) ٤/ ٢٠٩٢ ـ ٢٠٩٣.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٤٠) ما جاء ما يقول عند الكرب، حديث رقم (٣٤٣٥) ٥/ ٤٩٥.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٦٥٢ ـ ٦٥٣) ص ٤١٤. وحديث رقم (٦٥٤) ص ٤١٥ مرسلاً.

وفي كتاب النعوت من سننه الكبرى، باب (٨) العظيم الحليم، حديث رقم (٧٦٧٤ ـ ٧٦٧٥) ٤/ ٣٩٧.

وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب (١٧) الدعاء عند الكرب، حديث رقم (٣٨٨٣) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ١/ ٢٢٢ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٨ ـ ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ـ ٣٣٩ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٩ ـ ٤٥٦.

وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (٦٥٧ ـ ٦٥٨) ص ٢٢٠. وحديث رقم (٦٦٠) ص ٢٢١، والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٧٠٠) ص ٢٤٤، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩١٥٥) ٦/ ٢٠، والخرائطي في مكارم الأخلاق، حديث رقم (٥٨١) ص٢٣٨ (المنتقى)، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٦٥١) ص ٣٤٦، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة، حديث رقم (٤٤) ص ٥٤ ـ ٥٥.

والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٠٢٣ ـ ١٠٢٤) ٢/ ١٢٧٤ ـ ١٢٧٥.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٣١ ـ ١٣٣٢) ٥/ ١٢٠ ـ ١٢٢. =

التوحيد، وتألّه العبد ربّه، وتعلّق رجائه به وحده لا شريك له، وهي لفظ خبر يتضمّن الطلب.

والناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم: لا إلٰه إلاّ الله، **فقول العبد لها مخلصاً من قلبه له حقيقة أخرى**، وبحسب تحقيق التوحيد تكمل طاعة الله. قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤] فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، أي: جعل معبوده هو ما يهواه، وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنه، فهم يتخذون أنداداً من دون الله يحبّونهم كحبّ الله، ولهذا قال الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ۝٧٦﴾ [الأنعام: ٧٦].

فإنّ قومه لم يكونوا منكرين للصانع، ولكن كان أحدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعاً له كالشمس والقمر والكواكب، والخليل بيّن أنّ الآفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب، فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضرّه بسبب ولا غيره، فأي وجه لعبادة مَنْ يأفل؟!.

وكلما حقّق العبدُ الإخلاصَ في قول: لا إلٰه إلاّ الله: خرج من قلبه تأله ما يهواه، وتصرف عنه المعاصي والذنوب، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] فعلّل صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين، وهؤلاء هم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]. وقال الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [صٓ: ٨٢ ـ ٨٣]. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ قال: لا إلٰه**

= والمقدسي في الترغيب في الدعاء، والحث عليه، حديث رقم (١٣٣) ص ٢٥٩ بتحقيقنا.

إلاّ الله، مخلصاً من قلبه حرّمه الله على النار»[1].

فإنّ الإخلاص ينفي أسباب دخول النار؛ فمن دخل النار من القائلين: **لا إلٰه إلاّ الله**، لم يحقّق إخلاصها المحرّم له على النار؛ بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل؛ ولهذا كان العبد مأموراً في كل صلاة أن يقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٥]. والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك، فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله: إمّا خوفاً منه، وإمّا رجاء له.

فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك. وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إلٰه إلاّ الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً**»[2].

فصاحب الهوى الذي اتبع هواه بغير هدى من الله له نصيب ممن اتخذ إلٰه هواه، فصار فيه شرك مَنَعه من الاستغفار، وأما مَنْ حقّق التوحيد

---

(١) رواه أحمد في المسند٥/ ٢٣٦، والحميدي في مسنده، حديث رقم (٣٦٩) ١/ ١٨١، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٠٠) ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٥٩ ـ إلى ـ ٦٣) ٢٠/ ٤٠ ـ ٤١، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣) ١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨.
وسنده صحيح.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٣٦) ١/ ١٢٣ ـ ١٢٤، وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٧) ١/ ٩ وسنده واهٍ بمرة، فيه:
١ ـ عبد الغفور بن عبد العزيز الواسطي: متروك. انظر الكامل ٥/ ٣٢٩.
٢ ـ عثمان بن مطر: ضعيف. انظر الكامل ٥/ ١٦٣ ـ ١٦٤.
٣ ـ أبو رجاء: مجهول، كما في التقريب ٢/ ٤٢١.

والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون: (لا إلٰه إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد ﷺ: ١٩] وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٢ ـ ٣] وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠] إلى قوله: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢] وقوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

وخاتمة المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلاّ أنت استغفرك وأتوب إليك إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه، وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له»[١]، وقد روي ـ أيضاً ـ أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال: **«أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»**[٢].

وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار؛ فإنّ صدره الشهادتان اللتان هما أصلا الدين وجماعه؛ فإنّ جميع الدين داخل في الشهادتين؛ إذ مضمونهما: أن لا نعبد إلاّ الله، وأن نطيع رسوله.

---

(١) انظر تخريجه فيما سيأتي قريباً.

(٢) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب (٦) الذكر المستحب عقب الوضوء، حديث رقم (٢٣٤) ١/٢٠٩ ـ ٢١٠، وأبوداود في كتاب الطهارة، باب (٥٩) ما يقول الرجل إن توضأ، حديث رقم (١٦٩ ـ ١٧٠) ١/٤٣ ـ ٤٤، والنسائي في كتاب الطهارة، باب (١١١) ثواب من أحسن الوضوء ثم صلى ركعتين، ١/٩٥، وأحمد في المسند ٤/١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٣، والدارمي في كتاب الطهارة، باب (٤٤) القول بعد الوضوء، حديث رقم (٧١٦) ١/١٩٦، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٤٢) ١/٤٥ ـ ٤٦، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٠٥٠) ٣/٣٢٥ ـ ٣٢٦، والبيهقي في سننه ١/٧٨ و٢/٢٨٠.

والدين: كلّه داخل في هذا في عبادة الله بطاعة الله وطاعة رسوله، وكلّ ما يجب أو يستحب داخل في طاعة الله ورسوله.

وقد روي أنه يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه إلاّ أنت، استغفرك وأتوب إليك**»[1]. وهذا كفارة المجلس، فقد شرع في آخر

---

(١) ورد عن أبي هريرة من طرق:

١ ـ سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة:

رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٣٩) ما يقول إذا قام من المجلس، حديث رقم (٣٤٣٣) ٥/ ٤٩٤.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٩٧ ـ مكرر) ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٩ ـ ٤٩٤ ـ ٤٩٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧، وفي معرفة علوم الحديث ص ١١٣ ـ ١١٤.

والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٩١٣ ـ ١٩١٤) ٣/ ١٦٥٧ ـ ١٦٥٨. والطحاوي في شرح المعاني ٤/ ٢٨٩، والعقيلي في الضعفاء ٢/ ١٥٦، وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٤٧) ص ١٥٨ ـ ١٥٩، وتمام في فوائده، حديث رقم (١٥٨١) ٤/ ٤٢٥.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٥٩٤) ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، والخليلي في الإرشاد، حديث رقم (٢٤٩) ٣/ ٩٦٠ ـ ٩٦١، والصيداوي في معجم الشيوخ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠، والدارقطني في العلل ٨/ ٢٠١ ـ ٢٠٤، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٨٨، وفي تاريخ بغداد ٢/ ٢٨ ـ ٢٩، والبيهقي في الشعب، حديث رقم (٦٢٨) ١/ ٤٣٥، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٤٠) ٥/ ١٣٤، وفي تفسيره ٤/ ٢٤٣، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٥ من طريق موسى بن عقبة، ومحمد بن أبي حميد، وإسماعيل بن عياش، عن سهيل به.

قلت: سنده ضعيف، معلول، فيه:

١ ـ موسى بن عقبة: لم يلق سهيلاً، كما قال البخاري في تاريخه ٢/ ٢/ ١٠٥.

وتابعه عليه إسماعيل بن عياش، إلا أن روايته عن المدينيين ضعيفة، وهو هنا يروي عنهم، ومحمد بن أبي حميد: ضعيف.

٢ ـ وخالف موسى بن عقبة، وإسماعيل بن عياش، ومحمد بن أبي حميد: =

المجلس، وفي آخر الوضوء، وكذلك كان النبي ﷺ يختم الصلاة، كما في الحديث الصحيح أنه كان يقول في آخر صلاته: **«اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدّم وأنت المؤخّر، لا إله إلاّ أنت»**[1].

= خالف هؤلاء وهيبُ بن خالد: فرواه عن موسى بن عقبة، عن عون بن عبد الله مرسلاً.

رواه العقيلي في الضعفاء ٢/١٥٦، والبخاري في التاريخ الصغير ٢/١٤٠، والكبير ٢/٢/١٠٥، والخليلي في الإرشاد ٢/٩٦١، والحاكم في معرفة علوم الحديث ص ١١٤.

ووهيب: ثقة، ثبت، لكنه تغيّر قليلاً بأخرة، كما في التقريب ٢/٣٢٩، والتهذيب ١١/١٦٩ ـ ١٧٠ ورواية وهيب هي الأصح والأولى، كما صرّح بهذا البخاري وأحمد وأبو زرعة والعقيلي وأبو حاتم والدارقطني وغيره.

انظر تفصيل ذلك، وما في باب من الشواهد الكثيرة التي يرتقي بها الحديث لدرجة الحسن لغيره في رسالتي «المؤنس بشرح حديث كفارة المجلس». وكتاب «الترغيب في الدعاء والحث عليه» للمقدسي برقم (١٠٨) ص ١٩٥ بتحقيقنا.

(١) جزء من حديث طويل رواه:

مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب (٢٦) الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٧١) ١/٥٣٤ ـ ٥٣٦، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٢٢) ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث رقم (٧٦٠ ـ ٧٦١) ١/٢٠١ ـ ٢٠٣، والترمذي في كتاب الصلاة، باب (١٩٧) ما يقول الرجل إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم (٢٦٦) ٢/٥٣ بقصة رفع الرأس من الركوع فقط.

وفي كتاب الدعوات، باب (٣٢) منه، حديث رقم (٣٤٢١ ـ ٣٤٢٢ ـ ٣٤٢٣) ٥/٤٨٥ ـ ٤٨٨، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب (١٦) نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة، ٢/١٢٩ ـ ١٣٠، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (١٥) رفع اليدين إذا ركع..، حديث رقم (٨٦٤) ١/٢٨٠ ـ ٢٨١ بقصة رفع اليدين عند التكبير.

والدارمي في كتاب الصلاة، باب (٣٣) ما يقال بعد افتتاح الصلاة، حديث رقم (١٢٣٨) ١/٣٠٩. =

وهنا قدم الدعاء وختمه بالتوحيد؛ لأنّ الدعاء مأمور به في آخر الصلاة، وختم بالتوحيد ليختم الصلاة بأفضل الأمرين وهو: التوحيد، بخلاف ما لم يقصد فيه هذا فإنّ تقديم التوحيد أفضل.

فإنّ جنس الدعاء الذي هو ثناء وعبادة أفضل من جنس الدعاء الذي هو

= وأحمد في المسند ١/ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣.

وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٢٥٦٧) ٢/ ٧٩ ـ ٨٠.

وحديث رقم (٢٩٠٣) ٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٣٩٩) ١/ ٢١٠، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٨٥) ١/ ٢٤٥.

وحديث رقم (٥٧٤ ـ ٥٧٥) ١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤، وأبو عوانة في مسنده ٢/ ١٠٠ ـ ١٠٣، والطيالسي في مسنده حديث رقم (١٥٢) ص ٢٢ ـ ٢٣، وابن الجارود المنتقى، حديث رقم (١٧٩) ١/ ١٧٠ ـ ١٧١، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٧٧١ ـ ١٧٧٢ ـ ١٧٧٣ ـ ١٧٧٤) ٥/ ٦٨ ـ ٧٤، وحديث رقم (١٩٠٣) ٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ قطعة منه.

حديث رقم (١٩٦٦) ٥/ ٢٩٧، وحديث رقم (٢٠٢٥) ٥/ ٣٧٢.

والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٤٩٣ ـ إلى ـ ٤٩٨) ٢/ ١٠٢٦ ـ ١٠٣٠ مطولاً ومقتصراً على بعضه.

وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٤٦٢ ـ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، وحديث رقم (٦٠٧) ١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ بطوله، وحديث رقم (٦١٢) ١/ ٣١٠ بدعاء الرفع من الركوع.

والدارقطني في سننه ١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

والشافعي في مسنده، ص ٣٨ ـ ٣٩ بدعاء الركوع. وص ٤٦ ـ ٤٧ بدعاء الاستفتاح، والطحاوي في شرح المعاني ١/ ١٩٥ برفع اليدين عند التكبير ـ ١٩٩ بدعاء الاستفتاح ـ ٢٣٩ بدعاء الرفع من الركوع، والمشكل ١/ ٤٨٨، والبيهقي في سننه ٢/ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٧٤.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٥٧٢) ٣/ ٣٤ ـ ٣٥.

والمقدسي في الترغيب في الدعاء والحث عليه، حديث رقم (٨٧) ص ١٤٩ بتحقيقنا.

رووه من طرق عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب به.

سؤال وطلب، وإن كان المفضول قد يفضل على الفاضل في موضعه الخاص، بسبب وبأشياء أخر، كما أنّ الصلاة أفضل من القراءة، والقراءة أفضل من الذكر الذي هو ثناء، والذكر أفضل من الدعاء الذي هو سؤال، ومع هذا فالمفضول له أمكنة وأزمنة وأحوال يكون فيها أفضل من الفاضل، لكن أول الدين وآخره وظاهره وباطنه هو التوحيد، وإخلاص الدين كلّه لله هو تحقيق قول: لا إله إلاّ الله.

فإنّ المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلاً لا نقدر أن نضبطه، حتى أنّ كثيراً منهم يظنون أنّ التوحيد المفروض هو الإقرار والتصديق بأنّ الله خالق كلّ شيء وربه، ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقرّ به مشركو العرب، وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، ولا يجمعون بين التوحيد القولي والعملي.

فإنّ المشركين ما كانوا يقولون: إنّ العالم خَلَقَهُ اثنان، ولا أنّ مع الله رباً ينفرد دونه بخلق شيء؛ بل كانوا كما قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩].

وكانوا مع إقرارهم بأنّ الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى، يجعلونهم شفعاء لهم إليه، ويقولون: ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى، ويحبّونهم كحبّ الله.

والاشراك في الحب والعبادة والدعاء والسؤال غير الإشراك في

الاعتقاد والإقرار، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمن أحب مخلوقاً كما يحبّ الخالق فهو مشرك به، قد اتخذ من دون الله أنداداً يحبّهم كحبّ الله، وإن كان مقرّاً بأنّ الله خالقه.

ولهذا فرّق الله ورسوله بين مَنْ أحبّ مخلوقاً لله، وبين مَنْ أحبّ مخلوقاً مع الله، فالأول يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذي هو منتهى حبه وعبادته لا يحبّ معه غيره؛ لكنه لما علم أنّ الله يحبّ أنبياءه وعباده الصالحين أحبّهم لأجله، وكذلك لما علم أنّ الله يحبّ فعل المأمور وترك المحظور أحبّ ذلك، فكان حبّه لما يحبّه تابعاً لمحبّة الله وفرعاً عليه وداخلاً فيه.

بخلاف مَنْ أحبّ مع الله فجعله نداً لله يرجوه ويخافه، أو يطيعه من غير أن يعلم أنّ طاعته طاعة لله، ويتّخذه شفيعاً له من غير أن يعلم أنّ الله يأذن له أن يشفع فيه، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١] وقد قال عديُّ بن حاتم للنبي ﷺ: ما عبدوهم؟ قال: «**أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم، فكانت تلك عبادتهم إياهم**»[1] قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب (١٠)ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٩٥) ٥/٢٧٨.

ثم قال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلاّ من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين: ليس بمعروف في الحديث» اهـ.

وابن جرير في تفسيره، حديث رقم (١٦٦٤٦ ـ ١٦٦٤٧ ـ ١٦٦٤٨) ٦/ ٣٥٤.=

شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

فالرسول وجبت طاعته: لأنه مَنْ يطع الرسول فقد أطاع الله، فالحلال ما حلّله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه، ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعتهم طاعة لله، وهم إذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة الرسول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

فلم يقل: وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ بل جعل طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة الرسول؛ وطاعة الرسول طاعة لله، وأعاد الفعل في طاعة الرسول دون طاعة أولي الأمر؛ فإنه مَنْ يطع الرسول فقد أطاع الله؛ فليس لأحد إذا أمر الرسول بأمر أن ينظر هل أمر الله به أم لا، بخلاف أولي الأمر؛ فإنهم قد يأمرون بمعصية الله، فليس كلّ من أطاعهم مطيعاً لله، بل لا بد فيما يأمرون به أن يعلم إنه ليس معصية لله، وينظر هل أمر الله به أم لا، سواء كان أولي الأمر من العلماء أو الأمراء، ويدخل في هذا تقليد العلماء وطاعة أمراء السرايا وغير ذلك، وبهذا يكون الدين كلّه لله قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

= والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٢١٨ ـ ٢١٩) ٩٢/١٧، والبيهقي في سننه ١١٦/١٠.

قلت: سنده ضعيف، فيه:

غطيف بن أعين. قال الترمذي: ليس بمعروف في الحديث. وضعّفه الدارقطني. انظر التهذيب ٢٥١/٨، والتقريب ١٠٦/٢.

وقال النبي ﷺ: لما قيل له: يا رسول الله! الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء. فأي ذلك في سبيل الله؟.

فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

ثم إنّ كثيراً من الناس يحبّ خليفة أو عالماً أوشيخاً أو أميراً فيجعله نداً لله، وإن كان قد يقول: إنه يحبه لله.

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب (٤٥) من سأل وهو قائم عالماً جالساً، حديث رقم (١٢٣) ١/ ٢٢٢.

وفي كتاب الجهاد، باب (١٥) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم (٢٨١٠) ٦/ ٢٧ ـ ٢٨.

وفي كتاب فرض الخمس، باب (١٠) من قاتل للغنم هل ينقص من أجره، حديث رقم (٣١٢٦) ٦/ ٢٢٦.

وفي كتاب التوحيد، باب (٢٨) قوله تعالى: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**﴾، حديث رقم (٧٤٥٨) ١٣/ ٤٤١.

ومسلم في كتاب الإمارة، باب (٤٢) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، حديث رقم (١٩٠٤) ٣/ ١٥١٢ ـ ١٥١٣.

وأبو داود في كتاب الجهاد، باب (٢٥) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم (٢٥١٧ ـ ٢٥١٨) ٣/ ١٤.

والترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب (١٦) ما جاء فيمن يقاتل رياءً للدنيا، حديث رقم (١٦٤٦) ٤/ ١٧٩.

والنسائي في كتاب الجهاد، باب (٢١) من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٦/ ٢٣.

وابن ماجه في كتاب الفتن، باب (١٣) النية في القتال، حديث رقم (٢٧٨٣) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٢ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠٢ ـ ٤٠٥ ـ ٤١٧.

والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٤٨٦ ـ ٤٨٧ ـ ٤٨٨) ص ٦٦.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٦٣٦) ١٠/ ٤٩٣.

والبيهقي في سننه ٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٦٢٦) ١٠/ ٣٦١.

فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كلّ ما يأمر به وينهى عنه وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله نداً، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح، ويدعوه ويستغيث به، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه مع إيجابه طاعته في كلّ ما يأمر به وينهى عنه ويحلّله ويحرّمه، ويقيمه مقام الله ورسوله: فهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فالتوحيد والإشراك يكون في أقوال القلب، ويكون في أعمال القلب ولهذا قال الجنيد: التوحيد قول القلب، والتوكّل عمل القلب.

أراد بذلك التوحيد الذي هو التصديق، فإنه لما قرنه بالتوكل جعله أصله، وإذا أفرد لفظ التوحيد فهو يتضمّن قول القلب وعمله، والتوكّل من تمام التوحيد.

وهذا كلفظ «الإيمان»: فإنه إذا أفرد دخلت فيه الأعمال الباطنة والظاهرة، وقيل: الإيمان قول وعمل، أي: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومنه قول النبي ﷺ في حديث المتفق عليه: **«الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٣) أمور الإيمان، حديث رقم (٩) ١/ ٥.
ومسلم في كتاب الإيمان، باب (١٢) بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، حديث رقم (٣٥) ١/ ٦٣.
وأبو داود في كتاب السنة، باب (١٤) في ردّ الإرجاء، حديث رقم (٤٦٧٦) ٤/ ٢١٩.
والترمذي في كتاب الإيمان، باب (٦) في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان، حديث رقم (٢٦١٤) ٥/ ١٠ ـ ١١.
والنسائي في كتاب الإيمان، باب (١٦) ذكر شعب الإيمان ٨/ ١١٠. =

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤] وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢].

والإيمان المطلق: يدخل فيه الإسلام، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لوفد عبد القيس: «**آمركم بالإيمان بالله. أتدرون ما الإيمان بالله؟.**

شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدّوا خمس ما غنمتم»(1).

= وابن ماجه في المقدمة من سننه، باب (٩) في الإيمان، حديث رقم (٥٧) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٢/٣٧٩ ـ ٤١٤ ـ ٤٤٥، والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٥٩٨) ص٢٠٦، وابن منده في كتاب الإيمان، حديث رقم (١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧) ١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٨، وحديث رقم (١٧١ ـ ١٧١ ـ ١٧٣) ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥، وابن أبي شيبة في الإيمان، حديث رقم (٦٦) ص ٣٠، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٤٠٢) ص ٣١٦، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٦٦ ـ ١٦٧) ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٦، وحديث رقم (١٨١) ١/ ٤٠٧. وحديث رقم (١٩٠) ١/ ٤٢٠، واللالكائي في أصول الاعتقاد، حدبث رقم (١٦٢٥ ـ ١٦٣٢) ٥/ ٩٠٥ ـ ٩٠٨، وحديث رقم (١٦٣٧) ٥/ ٩١١، والآجري في الشريعة ص ١١٠.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٧ ـ ١٨) ١/ ٣٣ ـ ٣٥ من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(1) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٤٠) أداء الخمس من الإيمان، حديث رقم (٥٣) ١/ ١٢٩. =

. . . .

= وفي كتاب العلم، باب (٢٥) تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان، حديث رقم (٨٧) ١/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

وفي كتاب مواقيت الصلاة، باب (٢) **﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾**، حديث رقم (٥٢٣) ٢/ ٧.

وفي كتاب الزكاة، باب (١) وجوب الزكاة...، حديث رقم (١٣٩٨) ٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

وفي كتاب فرض الخمس، باب (٢) أداء الخمس من الدين، حديث رقم (٣٠٩٥) ٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

وفي كتاب المناقب، باب (٥)، حديث رقم (٣٥١٠) ٦/ ٥٤٠.

وفي كتاب المغازي، باب (٦٩) وفد عبد القيس، حديث رقم (٤٣٦٨ ـ ٤٣٦٩) ٨/ ٨٤ ـ ٨٥.

وفي كتاب الأدب، باب (٩٨) قول الرجل: مرحباً، حديث رقم (٦١٧٦) ١٠/ ٥٦٢.

وفي كتاب أخبار الآحاد، باب (٥) وصاة النبي ﷺ وفود العرب..، حديث رقم (٧٢٦٦) ١٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

وفي كتاب التوحيد، باب (٥٦) قول الله تعالى: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**، حديث رقم (٧٥٥٦) ١٣/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦) الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ..، حديث رقم (١٧) ١/ ٤٦ ـ ٤٨.

وأبو داود في كتاب الأشربة، باب (٧) في الأوعية، حديث رقم (٣٦٩٢) ٣/ ٣٣٠.

والترمذي في كتاب الإيمان، باب (٥) ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان، حديث رقم (٢٦١١) ٥/ ٨.

والنسائي في كتاب الإيمان، باب (٢٥) أداء الخمس ٨/ ١٢٠.

وأحمد في المسند ١/ ٢٢٨ ـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ـ ٣٦١.

وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٦٩٢٧) ٩/ ٢٠٠.

والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٧٤٧) ص ٣٥٩.

واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (١٦٣٨) ٥/ ٩١٢، وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (١٠٧٧ ـ ١٠٧٨) ٢/ ٧٩٧ ـ ٨٩٨، وابن منده في الإيمان، =

ولهذا قال مَنْ السلف: كلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مسلم مؤمناً[1].

وأما إذا قرن لفظ الإيمان بالعمل أو بالإسلام، فإنه يفرّق بينهما كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: ١٠٧] وهو في القرآن كثير، وكما في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان فقال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**.

قال: فما الإيمان؟

قال: **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**.

قال: فما الإحسان؟

قال: **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

= حديث رقم (١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢) ١/ ١٥٦ ـ ١٦٢، وحديث رقم (١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣) ١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦، وحديث رقم (١٥٦) ١/ ٣٠٨، وحديث رقم (١٦٩) ١/ ٣٣٢.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٥٧) ١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢، حديث رقم (١٧٢) ١/ ٣٩٦.

والبيهقي في سننه ٦/ ٢٩٤، وفي الدلائل ٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٠) ١/ ٤٣ ـ ٤٤.

(١) انظر الإيمان لابن منده، ١/ ١٢٠ ـ ١٢٤، والحجة للأصبهاني ١/ ٤١٠ ـ ٤٢٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب (١) بيان الإيمان والإسلام، حديث رقم (٨) ١/ ٣٦ ـ ٣٨.

وأبو داود في كتاب السنة، باب (١٧) في القدر، حديث رقم (٤٦٩٥ ـ ٤٦٩٦ ـ ٤٦٩٧) ٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

والترمذي في كتاب الإيمان، باب (٤) ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ =

ففرّق في هذا النص بين الإسلام والإيمان لما قرن بين الاسمين، وفي ذلك النص أدخل الإسلام في الإيمان لما أفرده بالذكر.

وكذلك لفظ العمل: فإنّ الإسلام المذكور هو من العمل، والعمل الظاهر هو موجب إيمان القلب ومقتضاه، فإذا حصل إيمان القلب حصل إيمان الجوارح ضرورة، وإيمان القلب لا بدّ فيه من تصديق القلب وانقياده، وإلاّ فلو صدّق قلبه بأنّ محمداً رسول الله وهو يبغضه ويحسده ويستكبر عن متابعته لم يكن قد آمن قلبه.

والإيمان: وإنْ تضمّن التصديق فليس هو مرادفاً له، فلا يقال لكل مصدق بشيء: إنه مؤمن به. فلو قال: أنا أصدق بأنّ الواحد نصف الاثنين،

= الإيمان والإسلام، حديث رقم (٢٦١٠) ٥/ ٦ ـ ٧.

والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب (٥) نعت الإسلام، ٨/ ٩٧ ـ ١٠١.

وابن ماجه في المقدمة من سننه، باب (٩) في الإيمان، حديث رقم (٦٣).

وأحمد في المسند ١/ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٥٢ ـ ٥٣، وعبد الله في السنة، حديث رقم (٩٠١ ـ إلى ـ ٩٠٨) ٢/ ٤١٢ ـ ٤١٥، وأبو يعلى في المسند، حديث رقم (٢٤٢) ١/ ٢٠٨، واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (٣٣٢) ٢/ ٢٠٢.

وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (١٢٠ ـ إلى ـ ١٢٦) ١/ ٥٥ ـ ٥٨.

والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢١) ص ٥، وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٨٢٧ ـ ٨٢٨) ٢/ ٦٤٠ ـ ٦٤٢، وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (١) ١/ ٣ ـ ٤، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث رقم (٣٦٣ ـ ٣٧٠) ١/ ٣٦٧ ـ ٣٧٩.

والدارقطني في سننه ٢/ ٢٨٢، والأصبهاني في الحجة، حديث رقم (٢٤٩ ـ إلى ـ ٢٥٢) ١/ ٤١٠ ـ ٤١٤، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٦٨) ١/ ٣٨٩ ـ ٣٩١، والآجري في الشريعة ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤، والبيهقي في دلائل النبوة ٨/ ٦٩ ـ ٧٠، وفي شعب الإيمان ٣/ ٤٢٨، وفي الاعتقاد ص ٨٥، وفي المدخل ص ٣٣٤ ـ ٢٣٥، وفي الأربعين الصغرى ص ٦١ ـ ٦٢، وفي سننه ٤/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢) ١/ ٧ ـ ٩.

وأنّ السماء فوقنا والأرض تحتنا، ونحو ذلك مما يشاهده الناس ويعلمونه لم يُقَل لهذا: إنه مؤمن بذلك؛ بل لا يستعمل إلاّ فيمن أخبر بشيء من الأمور الغائبة، كقول أخوه يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] فإنهم أخبروه بما غاب عنه وهم يفرّقون بين مَنْ آمن له وآمن به:

فالأول: يقال للمخبر.

والثاني: يقال للمخبر به، كما قال أخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] ففرّق بين إيمانه بالله وإيمانه للمؤمنين؛ لأنّ المراد: يصدق المؤمنين إذا أخبروه، وأما إيمانه بالله فهو من باب الإقرار به.

ومنه قوله تعالى عن فرعون وملئه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧] أي: نقرّ لهما ونصدقهما. ومنه قوله: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥] ومنه قوله تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ [العنكبوت: ٢٦] ومن المعنى الآخر قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: أقر بذلك، ومثل هذا في القرآن كثير.

والمقصود هنا: أنّ لفظ الإيمان إنما يستعمل في بعض الأخبار، وهو

مأخوذ من الأمن، كما أنّ الإقرار مأخوذ من قر، فالمؤمن صاحب أمن، كما أن المقر صاحب إقرار، فلا بد في ذلك من عمل القلب بموجب تصديقه، فإذا كان عالماً بأنّ محمداً رسول الله ولم يقترن بذلك حبه وتعظيمه، بل كان يبغضه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فإنّ هذا ليس بمؤمن به، بل كافر به.

ومن هذا الباب كفر إبليس وفرعون وأهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وغير هؤلاء، فإنّ إبليس لم يكذب خبراً ولا مخبراً بل استكبر عن أمر ربه، وفرعون وقومه قال الله فيهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وقال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فمجرد علم القلب بالحق إن لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه، بل أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وقد كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع، وقلب لا يخشع**»[1].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب (١٨) التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧٢٢) ٤/ ٢٠٨٨.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (١١٦) في انتظار الفرج وغير ذلك، حديث رقم (٣٥٧٢) ٥/ ٥٦٦.

والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب (٦٥) الاستعاذة من دعاء لا يستجاب، ٨/ ٢٨٥.

وأحمد في المسند ٤/ ٣٧١.

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩١٢٤) ٦/ ١٧.

والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٥٠٨٥ ـ ٥٠٨٦ ـ ٥٠٨٧ ـ ٥٠٨٨) ٥/ ٢٠١ ـ ٢٠٢، وفي الدعاء حديث رقم (١٣٦٤) ٣/ ١٤٤٠.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٥٨) ٥/ ١٥٨ ـ ١٥٩، وفي الشمائل، حديث رقم (١١٦٩) ٢/ ٧٢٨ ـ ٧٢٩، وفي تفسيره ٤/ ٤٩٣ من حديث =

ولكن الجهمية[1] ظنوا أنّ مجرد علم القلب وتصديقه هو الإيمان، وأنّ مَنْ دلّ الشرع على أنه ليس بمؤمن فإنّ ذلك يدل على عدم علم قلبه، وهذا من أعظم الجهل شرعاً وعقلاً، وحقيقته توجب التسوية بين المؤمن والكافر[2]؛ ولهذا أطلق وكيع بن الجراح[3] وأحمد بن حنبل[4] وغيرهما[5] من الأئمة كفرهم بذلك، فإنه من المعلوم أنّ الإنسان يكون عالماً بالحق

= زيد بن أرقم رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة، وجرير، وابن عباس وغيرهم، انظر تخريجها من تخريجنا لسنن ابن ماجه برقم (٣٨٣٧).

(١) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان تبنّى أراء الجعد بن درهم، وزاد عليها القول بالجبر، وأنَّ الإيمان هو المعرفة، والقول بفناء النار، والقول بأنّ علم الله حادث. وأخذ الجعد مقالته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت، ابن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الذي سحر النبي ﷺ عن يهودي باليمن.

ولقد ألّف العلماء كتباً كثيرة في بيان ضلالات الجهمية، مثل: «الرد على الجهمية» للبخاري، وأحمد والدرامي، وابن منده.

وكتاب بيان تلبيس الجهمية، ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى.

وكتاب الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية.

(٢) انظر بتوسع هذه المسألة في كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٢ ـ ٩٢، والحجة للأصبهاني ١/ ٤٠٥.

(٣) قال وكيع: القدرية يقولون: الأمر مستقبل إن لم يقدّر المصائب والأعمال.

والمرجئة يقولون: القول يجزىء من العمل.

والجهمية يقولون: المعرفة تجزىء من القول والعمل.

قال وكيع: وهو كله كفر.

رواه ابن بطة في الإبانة برقم (١٢٦٤) ٢/ ٩٠٣.

وقال وكيع أيضاً: أهل السنة يقولون: قول وعمل، والمرجئة يقولون: قول. والجهمية يقولون: الإيمان المعرفة، رواه ابن بطة في الإبانة (١٠٩١) ٢/ ٨٠٤.

(٤) قال الإمام أحمد: مَنْ قال هذا، فقد كفر بالله، وردّ على الله أمره، وعلى الرسول ﷺ ما جاء به. رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد برقم (١٥٩٥) ٥/ ٨٨٧.

(٥) انظر الحجة ١/ ٤٠٥، وشرح أصول الاعتقاد ٥/ ٨٨٥ ـ ٨٨٩.

ويبغضه لغرض آخر، فليس كلّ مَنْ كان مستكبراً عن الحق يكون غير عالم به، وحينئذٍ فالإيمان لا بدّ فيه من تصديق القلب وعمله، وهذا معنى قول السلف[1]: الإيمان قول وعمل[2].

ثم إنه إذا تحقّق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمّنة للإرادة لزم وجود الأفعال الظاهرة؛ فإنّ الإرادة الجازمة إذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً، وإنما ينتفي وجود الفعل لعدم كمال القدرة، أو لعدم كمال الإرادة، وإلاّ فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري، فإذا أقر القلب إقراراً تاماً بأنّ محمداً رسول الله، وأحبّه محبة تامة امتنع مع ذلك أن لا يتكلّم بالشهادتين مع قدرته على ذلك، لكن إن كان عاجزاً لخرس ونحوه أو لخوف ونحوه لم يكن قادراً على النطق بهما.

وأبو طالب وإن كان عالماً بأنّ محمداً رسول الله، وهو محبّ له، فلم تكن محبته له لمحبته لله، بل كان يحبه لأنه ابن أخيه فيحبه للقرابة، وإذا أحب ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة، فأصل محبوبه هو الرئاسة: فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى أنّ بالإقرار بهما زوال دينه الذي يحبه، فكان دينه أحب إليه من ابن أخيه فلم يقرّ بهما،فلو كان يحبه لأنه رسول الله كما كان يحبه أبو بكر الذي قال الله فيه: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢١] وكما كان يحبه سائر المؤمنين به، كعمر وعثمان وعلي وغيرهم لنطق بالشهادتين قطعاً فكان حبّه حباً مع الله

---

(١) انظر في مسألة الإيمان قول وعمل: الحجة ١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥، والإبانة ١/ ٧٦٠، والسنة لابن أبي زمنين ص ٢٠٧، وشرح أصول الاعتقاد للإمام اللالكائي ٤/ ٨٣٠.

(٢) انظر أقوالهم في: شرح أصول الاعتقاد ٤/ ٨٣٢ و٤/ ٨٤٧ ـ ٨٥٠، والإبانة ٢/ ٨٠٢ ـ ٨٠٧ و٢/ ٨١٢ ـ ٨١٤، والسنة لعبد الله ١/ ٣١٦ ـ ٣١٧، والشريعة للآجري ص ١٣٠، والسنة لابن أبي زمنين ص ٢٠٩، والإيمان لابن تيمية ص ١٠١ ـ ١٠٢.

لا حباً لله، ولهذا لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول ومؤازرته؛ لأنه لم يعمله لله، ـ والله لا يقبل من العمل إلاّ ما أُريد به وجهه ـ بخلاف الذي فعل ما فعل ابتغاء وجه ربه الأعلى.

وهذا مما يحقق أنّ «**الإيمان، والتوحيد**» لا بدّ فيهما من عمل القلب، كحب القلب، فلا بد من إخلاص الدين لله، والدين لا يكون ديناً إلاّ بعمل؛ فإنّ الدين يتضمّن الطاعة والعبادة؛ وقد أنزل الله ـ عز وجل ـ سورتي الإخلاص: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ . إحداهما في توحيد القول والعلم، والثانية في توحيد العمل والإرادة:

فقال في الأول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤] فأمره أن يقول هذا التوحيد.

وقال في الثاني: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ فأمره أن يقول ما يوجب البراءة من عبادة غير الله وإخلاص العبادة لله.

والعبادة: أصلها القصد والإرادة. والعبادة إذا أفردت دخل فيها التوكل ونحوه، وإذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسيماً لها، كما ذكرناه في لفظ الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] فهذا ونحوه يدخل فيه فعل المأمورات وترك المحظورات؛ والتوكل من ذلك، وقد قال في موضع آخر: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] وقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

ومثل هذا كثيراً ما يجيء في القرآن: تتنوّع دلالة اللفظ في عمومه وخصوصه بحسب الإفراد والاقتران؛ كلفظ «المعروف والمنكر» فإنه قد

قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فالمنكر يدخل فيه ما كرهه الله؛ كما يدخل في المعروف ما يحبه الله.

وقد قال في موضع آخر: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فعطف المنكر على الفحشاء، ودخل في المنكر هنا البغي، وقال في موضع آخر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠] فقرن بالمنكر الفحشاء والبغي.

ومن هذا الباب **لفظ: الفقراء، والمساكين**: إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإذا قرن أحدهما بالآخر صار بينهما فرق؛ لكن هناك أحد الاسمين أعم من الآخر، وهنا بينهما عموم وخصوص، فمحبة الله وحده والتوكل عليه وحده وخشية الله وحده ونحو هذا، كلّ هذا يدخل في توحيد الله تعالى، قال تعالى في المحبة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور: ٥٢] فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [التوبة: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨] فجعل التحسب والرغبة إلى الله وحده.

وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أنّ قول القائل: لا إله إلاّ أنت: فيه إفراد الإلهية لله وحده وذلك يتضمّن التصديق لله قولاً وعملاً، فالمشركون كانوا يقرّون بأنّ الله ربّ كلّ شيء؛ لكن كانوا يجعلون معه آلهة أخرى، فلا يخصونه بالإلهية. وتخصيصه بالإلهية يوجب أنْ لا يعبد إلاّ إياه، وأن لا يسأل غيره، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥] فإنّ الإنسان قد يقصد سؤال الله وحده والتوكّل عليه، لكن في أمور لا يحبّها الله؛ بل يكرهها وينهى عنها، فهذا وإن كان مخلصاً له في سؤاله والتوكّل عليه، لكن ليس هو مخلصاً في عبادته وطاعته، وهذا حال كثير من أهل التوجهات الفاسدة أصحاب الكشوفات والتصرفات المخالفة لأمر الله ورسوله، فإنهم يعانون على هذه الأمور.

وكثير منهم يستعين الله عليها، لكن لما لم تكن موافقة لأمر الله ورسوله حصل لهم نصيب من العاجلة، وكانت عاقبتهم عاقبة سيئة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ [يونس: ١٢].

وطائفة أخرى قد يقصدون طاعة الله ورسوله، لكن لا يحقّقون التوكل عليه والاستعانة به. فهؤلاء يثابون على حسن نيتهم، وعلى طاعتهم، لكنهم مخذولون فيما يقصدونه، إذ لم يحقّقوا الاستعانة بالله والتوكّل عليه؛ ولهذا يبتلى الواحد من هؤلاء بالضعف والجزع تارة، وبالإعجاب أخرى، فإنْ لم يحصل مراده من الخير كان لضعفه، وربما حصل له جزع، فإنْ حصل مراده نظر إلى نفسه وقوته فحصل له إعجاب، وقد يعجب بحاله فيظن حصول مراده فيخذل. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ

عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥] إلى قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٧].

وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الاشراك بالنفس وهذا حال المستكبر، **فالمرائي لا يحقق قوله:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] **والمعجب لا يحقق قوله:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. **فمن حقق قوله:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] **خرج عن الرياء، ومن حقّق قوله:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] **خرج عن الإعجاب،** وفي الحديث المعروف: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[1].

---

(١) رواه البزار في مسنده، حديث رقم (٨٠) ١/ ٦٠، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩ وفي سنده زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به، كما في مجمع الزوائد ١/ ٩١.

ورواه من طريق الفضل بن بكر، عن قتادة، عن أنس: البزار في مسنده، حديث رقم (٨١) ١/ ٦٠، وأبونعيم في الحلية ٢/ ٣٤٣، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ٤٤٧، والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ٣٢٧)، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٢٢٩٤) ٢/ ١٣٩ ـ ١٤٠، وفي سنده.

١ ـ أيوب بن عتبة: ضعيف، انظر تهذيب التهذيب ١/ ٤٠٨ ـ ٤١٠، والتقريب ١/ ٩٠، والكامل ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٣.

٢ ـ الفضل بن بكر: لا يعرف، وحديثه منكر. انظر الميزان ٣/ ٣٤٩، ولسان الميزان ٤/ ٤٣٧، والضعفاء للعقيلي ٣/ ٤٤٧ وقال: «الفضل بن بكر العبدي، عن قتادة، ولا يتابع عليه من وجه يثبت» اهـ.

وفي الباب عن:

١ ـ **ابن عباس:** رواه البزار في مسنده، حديث رقم (٨٢) ١/ ٦٠ (كشف الأستار)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٢١٩، وابن عدي في الكامل ٥/ ٢٤١، وفي سنده عيسى بن ميمون: متروك الحديث، انظر الكامل ٥/ ٢٤١.

٢ ـ **ابن أبي أوفى:** رواه البزار في مسنده، حديث رقم (٨٣) ١/ ٦٠، وفي =

وشرّ من هؤلاء وهؤلاء مَنْ لا تكون عبادته لله ولا استعانته بالله، بل يعبد غيره ويستعين غيره، وهؤلاء المشركون من الوجهين.

ومن هؤلاء مَنْ يكون شركه بالشياطين كأصحاب الأحوال الشيطانية فيفعلون ما تحبّه الشياطين من الكذب والفجور، ويدعونه بأدعية تحبها الشياطين ويعزمون بالعزائم التي تطيعها الشياطين مما فيها إشراك بالله، كما قد بسط الكلام عليهم في مواضع أخر. وهؤلاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يظن أنه من كرامات الأولياء، وإنما هو من أحوال السحرة والكهان؛ ولهذا يجب الفرق بين الأحوال الإيمانية القرآنية والأحوال النفسانية والأحوال الشيطانية.

وأما القسم الرابع فهم أهل التوحيد الذين أخلصوا دينهم لله، فلم يعبدوا إلاّ إياه ولم يتوكّلوا إلاّ عليه.

وقول المكروب: لا إله إلاّ أنت: قد يستحضر في ذلك أحد النوعين دون الآخر، فمن أتم الله عليه النعمة استحضر التوحيد في النوعين، فإنّ المكروب همته منصرفة إلى دفع ضره وجلب نفعه، فقد يقول: «لا إله إلاّ الله» مستشعراً أنه لا يكشف الضرّ غيرك، ولا يأتي بالنعمة إلاّ أنت: فهذا مستحضر توحيد الربوبية، ومستحضر توحيد السؤال والطلب، والتوكّل عليه، معرض عن توحيد الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به، وهو أن لا يعبد إلاّ إياه ولا يعبده إلاّ بطاعته وطاعة رسوله، فمن استشعر هذا في قوله: (لا إله إلاّ أنت) كان عابداً لله متوكلاً عليه، وكان ممتثلاً قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨] وقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨ ـ ٩].

= سنده: محمد بن عون الخراساني: ضعيف جداً، كما في المجمع ١/ ٩١، وانظر مجمع الزوائد ١/ ٩٠ ـ ٩١.

ثم إنْ كان مطلوبه محرماً أثم، وإن قضيت حاجته. وإن كان طالباً مباحاً لغير قصد الاستعانة به على طاعة الله وعبادته لم يكن آثماً ولا مثاباً. وإن كان طالباً ما يعينه على طاعة الله وعبادته لقصد الاستعانة به على ذلك كان مثاباً مأجوراً.

وهذا مما يفرّق به بين العبد الرسول وخلفائه، وبين النبي الملك، فإنّ نبينا محمداً ﷺ خيّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً؛ فإنّ العبد الرسول هو الذي لا يفعل إلاّ ما أمر به، ففعله كلّه عبادة لله، فهو عبد محض منفّذ أمر مرسله، كما ثبت عنه في صحيح البخاري أنه قال: «**إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسم أضَع حيث أمرت**»[1] وهو لم يرد بقوله: «**لا أعطي أحداً ولا أمنع**» إفراد الله بذلك قدراً وكوناً؛ فإنّ جميع المخلوقين يشاركونه في هذا، فلا يعطي أحداً ولا يمنع إلاّ بقضاء الله وقدره، وإنما أراد إفراد الله بذلك شرعاً وديناً. أي: لا أعطي إلاّ من أمرت بإعطائه، ولا أمنع إلاّ مَنْ أمرت بمنعه، فأنا مطيع لله في إعطائي ومَنْعي فهو يقسم الصدقة والفيء والغنائم كما يقسم المواريث بين أهلها؛ لأنّ الله أمره بهذه القسمة.

---

(١) هذا اللفظ رواه البخاري بنحوه، في كتاب فرض الخمس، باب (٧) قول الله تعالى: ﴿**فإن لله خمسه وللرسول**﴾، حديث رقم (٣١١٧) ٦/٢١٧ ولفظه: «**ما أعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم، أضع حيث أمرت**».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٢١٨: «والمعنى: لا أتصرف فيكم بعطية ولا منع برأيي، ولا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً إلا بأمر الله» اهـ.

ورواه أبو داود في كتاب الخراج، باب (١٣) فيما يلزم الإمام من أمر الرعية، حديث رقم (٢٩٤٩) ٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦ ولفظه: «**ما أوتيكم من شيء وما أمنعكموه، إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت**».

وأحمد ٢/ ٣١٤.

ولهذا كان المال حيث أضيف إلى الله ورسوله فالمراد به ما يجب أن يصرف في طاعة الله ورسوله(1)، ليس المراد به أنه مُلْك للرسول، كما ظنه طائفة من الفقهاء، ولا المراد به كونه مملوكاً لله خلقاً وقدراً؛ فإن جميع الأموال بهذه المثابة. وهذا كقوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 1] وقوله: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية: [الأنفال: 41] وقوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ﴾ [الحشر: 6] إلى قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآية [الحشر: 7] فذكر في الفيء ما ذكر في الخمس.

فظنّ طائفة من الفقهاء: أنّ الاضافة إلى الرسول تقتضي أنه يملكه، كما يملك الناسُ أملاكهم.

ثم قال بعضهم: إنّ غنائم بدر كانت ملكاً للرسول.

وقال بعضهم: إنّ الفيء وأربعة أخماسه كان ملكاً للرسول.

وقال بعضهم: إنّ الرسول إنما كان يستحق من الخمس خمسه.

وقال بعض هؤلاء: وكذلك كان يستحق من خمس الفيء خمسه، وهذه الأقوال توجد في كلام طوائف من أصحاب الشافعي وأحمد وأبي

---

(1) وهذا هو مذهب الحنابلة، والشافعية.

قال في الشرح الكبير ٥/ ٥٦٠: «فسهم رسول الله ﷺ يصرف في مصالح المسلمين... من سد الثغور، وكفاية أهلها، وشراء الكراع والسلاح، ثم الأهم فالأهم ونحو قول الشافعي: فإنه قال: أختار أن يضعه الإمام في كل أمر خصّ به الإسلام وأهله من سدّ ثغر وإعداد كراع وسلاح، وإعطائه أهل البلاء في الإسلام نفلاً عند الحرب وغير الحرب.

وانظر تفسير الطبري ٦/٢٤٨ ـ ٢٥٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥، والاقناع ٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١.

حنيفة وغيرهم، **وهذا غلط من وجوه**(١):

منها: أنّ الرسول لم يكن يملك هذه الأموال كما يملك الناس أموالهم، ولا كما يتصرّف الملوك في ملكهم؛ فإنّ هؤلاء وهؤلاء لهم أن يصرفوا أموالهم في المباحات، فإما أن يكون مالكاً له فيصرفه في أغراضه الخاصة، وإما أن يكون ملكاً له فيصرفه في مصلحة ملكه، وهذه حال النبي الملك كداود وسليمان، قال تعالى: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ [صَ: ٣٩] أي: اعطِ مَنْ شئت واحرم مَنْ شئتَ لا حساب عليك، ونبينا كان عبداً رسولاً

---

(١) قال ابن القيم في زاد المعاد ٥/ ٨٣ ـ ٨٤: «قد اختلف الفقهاء في الفيء: هل كان ملكاً لرسول الله ﷺ يتصرّف فيه كيف يشاء، أو لم يكن ملكاً له؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره. والذي تدلّ عليه سنته وهديه: أنه كان يتصرّف فيه بالأمر، فيضعه حيث أمره الله، ويقسمه على مَنْ أُمر بقسمته عليهم، فلم يكن يتصرّف فيه تصرّف المالك بشهوته وإرادته، يعطي مَنْ أحبّ، ويمنع مَنْ أحبّ، وإنما كان يتصرّف فيه تصرّف العبد المأمور ينفّذ ما أمره به سيده ومولاه، فيعطي مَنْ أُمر بإعطائه، ويمنع من أمر بمنعه، وقد صرّح رسول الله ﷺ بهذا فقال: «**والله إني لا أعطي أحدا ولا أمنعه إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت**» [رواه البخاري (٣١١٧)، وأبو داود (٢٩٤٩)، وأحمد ٢/ ٣١٤].

فكان عطاؤه ومنعه وقسمه بمجرد الأمر، فإنّ الله سبحانه خيّره بين أن يكون عبداً رسولاً، وبين أن يكون ملكاً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً.

والفرق بينهما أنّ العبد الرسول لا يتصرّف إلاّ بأمر سيده ومرسله، والملك الرسول له أن يعطي من يشاء، كما قال تعالى للملك الرسول سليمان: ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**﴾ [صَ: ٣٩] أي: أعط مَنْ شئت، وامنع من شئت، لا نحاسبك وهذه المرتبة هي التي عرضت على نبينا ﷺ، فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها، وهي مرتبة العبودية المحضة التي تصرف صاحبها فيها مقصور على أمر السيد في كل دقيق وجليل.

والمقصود: أنّ تصرّفه في الفيء بهذه المثابة، فهو ملك يخالف حكم غيره من المالكين، ولهذا كان ينفق مما أفاء الله عليه مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب على نفسه وأهله نفقة سنتهم، ويجعل الباقي في الكُراع والسلاح عدة في سبيل الله عزوجل». ا هـ.

لا يعطي إلاّ مَنْ أُمر بإعطائه، ولا يمنع إلاّ مَنْ أُمر بمنعه، فلم يكن يصرف الأموال إلاّ في عبادة الله وطاعة له.

ومنها: أنّ النبي لا يورث[1] ولو كان ملْكاً، فإنّ الأنبياء لا يورثون فإذا

---

(١) لقوله ﷺ: «لا نورث، ما تركناه صدقه»: رواه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١) فرض الخمس حديث رقم (٣٠٩٢ ـ ٣٠٩٣) ٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

وفي كتاب فضائل الصحابة، باب (١٢) مناقب قرابة رسول الله ﷺ . . ، حديث رقم (٣٧١١ ـ ٣٧١٢) ٧/ ٩٧.

وفي كتاب المغازي، باب (١٣) تسمية من سمى من أهل بدر، حديث رقم (٤٠٣٥ ـ ٤٠٣٦) ٧/ ٣٩٠.

وباب (٣٨) غزوة خيبر، حديث رقم (٤٢٤٠ ـ ٤٢٤١) ٧/ ٥٦٤.

وفي كتاب الفرائض، باب (٣) قول النبي ﷺ: **«لا نورث، ما تركناه صدقة»**، حديث رقم (٦٧٢٥ ـ ٦٧٢٦ ـ ٦٧٢٧) ١٢/ ٧، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب (١٦) قول النبي ﷺ: **«لا نورث، ما تركناه، فهو صدقة»**، حديث رقم (١٧٥٨ ـ ١٧٥٩) ٣/ ١٦٧٩ ـ ١٦٨٢.

وأبو داود في كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب (١٩) في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال، حديث رقم (٢٩٧٦ ـ ٢٩٧٧) ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١.

والنسائي في كتاب قسم الفيء، باب (١) قسم الفيء٧/ ١٣٢، والترمذي في الشمائل، حديث رقم (٤٠٩) ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠ بتحقيقي، ومالك في الموطأ، في كتاب الكلام، باب (١٢) ما جاء في تركة النبي ﷺ، حديث رقم (٢٧) ٢/ ٩٩٣.

وأحمد في المسند ١/ ٦ ـ ٧ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ٦٠ ـ ١٤٥ ـ ٢٦٢.

وإسحاق بن راهويه في مسنده، حديث رقم (٣٢٥) ٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢. وحماد بن إسحاق في تركة النبي ﷺ (٨١ ـ ٨٤)، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٩٧٧٣ ـ ٩٧٧٤) ٥/ ٤٧١ ـ ٤٧٤، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣١٥، وابن الجارود في المنتقى، حديث رقم (١٠٩٨) ٣/ ٣٤٨، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٨٢٣) ١١/ ١٥٢ ـ ١٥٤، والبيهقي في سننه ٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠١ و٧/ ٦٥ و١٠/ ١٤٢ ـ ١٤٣، وفي الدلائل ٧/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٧٤١) ١١/ ١٤٢ ـ ١٤٣، وحديث رقم (٣٨٣٩) ١٤/ ٥٣، وفي الشمائل، حديث رقم (١٢١٧) ٢/ ٧٦٠ ـ ٧٦١. والمروزي في مسند أبي بكر رضي الله عنه، حديث رقم (٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨) ص ٧١ ـ ٧٧.

كان ملوك الأنبياء لم يكونوا ملاكاً كما يملك الناس أموالهم، فكيف يكون صفوة الرسل الذي هو عبد رسول مالكاً؟!!.

ومنها: أنّ النبي ﷺ كان ينفق على نفسه وعياله قَدْر الحاجة، ويصرف سائر المال في طاعة الله لا يستفضله، وليست هذه حال الملاّك، بل المال الذي يتصرّف فيه كّله هو مال الله ورسوله، بمعنى: أنّ الله أمر رسوله أن يصرف ذلك المال في طاعته، فتجب طاعته في قسمه، كما تجب طاعته في سائر ما يأمر به؛ فإنه مَنْ يطع الرسول فقد أطاع الله، وهو في ذلك مبلّغ عن الله.

والأموال التي كان يقسمها النبي ﷺ على وجهين:

منها: ما تعيّن مستحقّه ومصرفه كالمواريث.

ومنها: ما يحتاج إلى اجتهاده ونظره ورأيه، فإنّ ما أمر الله به منه ما هو محدود بالشرع: كالصلوات الخمس، وطواف الأسبوع بالبيت، ومنه ما يرجع في قدره إلى اجتهاده المأمور فيزيده وينقصه بحسب المصلحة التي يحبّها الله.

فمن هذا ما اتفق عليه الناس، ومنه ما تنازعوا فيه: كتنازع الفقهاء فيما يجب للزوجات من النفقات: هل هي مقدّرة بالشرع؟ أم يرجع فيها إلى العرف، فتختلف في قدرها وصفتها باختلاف أحوال الناس؟. وجمهور الفقهاء على القول الثاني(1)، وهو الصواب لقول النبي ﷺ لهند: «**خذي ما**

---

(1) يجب عليه نفقة زوجته وما لا غناء عنه وكسوتها ومسكنها بما يصلح مثلها، وليس ذلك مقدراً: ولا ورد ما يدل على تقدير النفقة، وإنما ردّ الأزواج فيها إلى العرف.

ثم اختلفوا بحال مَنْ تقدّر النفقة:

١ ـ قال أبو حنيفة ومالك: تعتبر حال المرأة على قدر كفايتها، لقول الله تعالى: ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾ [البقرة: ٢٣٣]=

يكفيك وولدك بالمعروف»[1] وقال ـ أيضاً ـ في خطبته المعروفة: **«للنساء**

= والمعروف الكفاية، ولأنه سوّى بين النفقة والكسوة على قدر حالها، فكذلك النفقة.

وقال النبي ﷺ لهند: «**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف**» فاعتبر كفايتها دون حال زوجها، ولأنّ نفقتها واجبة لدفع حاجتها، فكان الاعتبار بما تندفع به حاجتها دون حال مَنْ وجبت عليه كنفقة المماليك.

ولأنه واجب للمرأة على زوجها بحكم الزوجية، لم يقدر، فكان معتبراً بها كمهرها.

٢ ـ وقال الشافعي: الاعتبار بحال الزوج وحده، لقول الله تعالى: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها**﴾ [الطلاق: ٧].

٣ ـ وقال أحمد: تعتبر حال الزوجين جميعاً، جمعاً بين الدليلين، وعملاً بكلا النصين، ورعاية لكلا الجانبين، فكان أولى. انظر الشرح الكبير ٥/ ١١٠ ـ ١١١، وزاد المعاد ٥/ ٤٩٠ ـ ٤٩٤، والإشراف على مذاهب أهل العلم لابن المنذر ٣/ ١٢٦ ـ ١٢٨، والإقناع لابن المنذر ١/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب (٩٥) من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم، حديث رقم (٢٢١١) ٤/ ٤٠٥.

وفي كتاب المظالم، باب (١٨) قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، حديث رقم (٢٤٦٠) ٥/ ١٠٧.

وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٢٣) ذكر هند بنت عتبة رضي الله عنها، حديث رقم (٣٨٢٥) ٧/ ١٤١.

وفي كتاب النفقات، باب (٥) نفقة المرأة إذا غاب عنها زوجها، حديث رقم (٥٣٥٩) ٩/ ٥٠٤.

وباب (٩) إذا لم ينفق الرجل. . .، حديث رقم (٥٣٦٤) ٩/ ٥٠٧.

وباب (١٤) ﴿**وعلى الوارث مثل ذلك**﴾، حديث رقم (٥٣٧٠) ٩/ ٥١٤.

وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ؟، حديث رقم (٦٦٤١) ١١/ ٥٢٥.

وفي كتاب الأحكام، باب (١٤) من رأى للقاضي أن يحكم بعلمه في أمر الناس. . .، حديث رقم (٧١٦١) ١١/ ١٣٨ ـ ١٣٩.

وباب (٢٨) القضاء على الغائب، حديث رقم (٧١٨٠) ١١/ ١٧١.

ومسلم في كتاب الأقضية، باب (٤) قضية هند، حديث رقم (١٧١٤) =

كسوتهنّ ونفقتهنّ بالمعروف»[1].

وكذلك تنازعوا ـ أيضاً ـ فيما يجب من الكفارات: هل هو مقدَّر بالشرع أو بالعرف؟.

فما أضيف إلى الله والرسل من الأموال كان المرجع في قسمته إلى أمر

= ٣/ ١٣٣٨ ـ ١٣٣٩.

وأبو داود في كتاب البيوع، باب (٧٩) في الرجل يأخذ حقّه من تحت يده، حديث رقم (٣٥٣٢ ـ ٣٥٣٣) ٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

والنسائي في كتاب آداب القضاء، باب (٣١) قضاء الحاكم على الغائب إذا عرفه ٨/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

وابن ماجه في كتاب التجارات، باب (٦٥) ما للمرأة من مال زوجها، حديث رقم (٢٢٩٣).

والدارمي في كتاب النكاح، باب (٥٤) في وجوب نفقة الرجل على أهله، حديث رقم (٢٢٥٩) ٢/ ٢١١.

وأحمد ٦/ ٣٩ ـ ٥٠ ـ ٢٠٦، والحميدي في مسنده، حديث رقم (٢٤٢) ١/ ١١٨ ـ ١١٩، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٤٢٥٥ ـ ٤٢٥٦ ـ ٤٢٥٧ ـ ٤٢٥٨) ١٠/ ٦٨ ـ ٧٢.

وابن المنذر في الإقناع، حديث رقم (١٠٨) ١/ ٣١٢، والبيهقي في سننه ص ١٠/ ١٤١ ـ ٢٧٠، و٧/ ٤٦٦، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢١٤٩) ٨/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤، و(٢٣٩٧) ٩/ ٣٢٧.

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب (١٩) حجة النبي ﷺ، حديث رقم (١٢١٨) ٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢.

وأبو داود في كتاب المناسك، باب (٥٦) صفة حجة النبي ﷺ، حديث رقم (١٩٠٥) ٢/ ١٨٢، والنسائي في كتاب الحج، باب الكراهية في الثياب المصبغة للمحرم، ٥/ ١٤٣ ـ ١٤٤، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب (٨٤) حجة النبي ﷺ، حديث رقم (٣٠٧٤).

والدارمي في كتاب الحج، باب (٣٤) في سنة الحج، حديث رقم (١٨٥٠ ـ ١٨٥١) ٢/ ٦٧ ـ ٧١.

وابن الجارود في المنتقى، حديث رقم (٤٦٩) ٢/ ٩٢ ـ ٩٦، والبيهقي في سننه ٥/ ٦ ـ ٩.

النبي ﷺ؛ بخلاف ما سمي مستحقوه كالمواريث، ولهذا قال النبي ﷺ عام حنين: «**ليس لي مما أفاء الله عليكم إلاّ الخمس، والخمس مردود عليكم**»[1]، أي: ليس له بحكم القسم الذي يرجع فيه إلى اجتهاده ونظره الخاص إلاّ الخمس، ولهذا قال: «**وهو مردود عليكم**» بخلاف أربعة أخماس الغنيمة فإنه لمن شهد الوقعة.

ولهذا كانت الغنائم يقسمها الأمراء بين الغانمين، والخمس يرفع إلى الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا رسول الله ﷺ في أمته فيقسمونها بأمرهم، فأما أربعة الأخماس فإنما يرجعون فيها ليعلم حكم الله ورسوله كما يستفتى المستفتي، وكما كانوا في الحدود لمعرفة الأمر الشرعي، والنبي ﷺ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب (١٢٢) في فداء الأسير بالمال، حديث رقم (٢٦٩٤) ٣/ ٦٣.

والنسائي في كتاب قسم الفيء، باب (١) قسم الفيء، ٧/ ١٣١ ـ ١٣٢.

وأحمد في المسند ٢/ ١٨٤.

وابن الجارود في المنتقى، حديث رقم (١٠٨٠) ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٨، والبيهقي في سننه ٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

وفي الدلائل ٥/ ١٩٤ ـ ١٩٥ من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، ضمن قصة طويلة. وسنده حسن محمد بن إسحاق صرّح بالتحديث عند ابن الجارود.

وفي الباب عن:

عمرو بن عبسة: رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب (١٤٩) في الإمام يستأثر بشيء من الفيء، حديث رقم (٢٧٥٥) ٣/ ٨٢، والحاكم في المستدرك ٣/ ٦١٦ ـ ٦١٧، والبيهقي في سننه ٦/ ٣٣٩.

وسنده صحيح.

ورواه مالك في الموطأ، في كتاب الجهاد، باب (١٣) ما جاء في الغلول، حديث رقم (٢٢) ٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ عن عبد الرحمن بن سعيد، عن عمرو بن شعيب مرسلاً.

أعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين ما أعطاهم:

فقيل: إنّ ذلك كان من الخمس.

وقيل: إنه كان من أصل الغنيمة؛ وعلى هذا القول فهو فَعَلَ ذلك لطيب نفوس المؤمنين بذلك؛ ولهذا أجاب مَنْ عتب من الأنصار بما أزال عتبه وأراد تعويضهم عن ذلك(1).

---

(1) روى مروان والمسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوزان مسلمين فسألوه أن يردّ إليهم أموالهم وسَبْيَهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**معي مَنْ تَرَوْن، وأحبّ الحديث إليّ أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال.**

وقد كنت استأنيتُ بكم ـ وكان أنظرهم رسولُ الله ﷺ ـ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف».

فلما تبيّن لهم أنّ رسول الله ﷺ غيرُ رادّ إليهم إلاّ إحدى الطائفتين قالوا: فإنّا نختار سبيَنا.

فقام رسولُ الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد، فإنّ إخوانكم قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيّب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل**».

فقال الناس: قد طيّبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم**» فرجع الناس، فكلّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيّبوا وأذنوا، هذا الذي بلغني عن سبي هوازن: رواه البخاري في كتاب الوكالة، باب (٧) إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم جاز، حديث رقم (٢٣٠٧ ـ ٢٣٠٨) ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤.

وفي كتاب العتق، باب (١٣) من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى الذرية، حديث رقم (٢٥٣٩ ـ ٢٥٤٠) ٥/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

وفي كتاب الهبة، باب (١٠) من رأى الهبة الغائبة جائزة، حديث رقم (٢٥٨٣ ـ ٢٥٨٤) ٥/ ٢٠٩.

=

ومن الناس من يقول: الغنيمة قبل القسمة لم يملكها الغانمون؛ وإنّ للإمام أن يتصرّف فيها باجتهاده كما هو مذكور في غير هذا الموضع.

فإنّ المقصود هنا بيان حال العبد المحض لله الذي يعبده ويستعينه، فيعمل له ويستعينه، ويحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥] توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية؛ وإن كانت الإلهية تتضمّن الربوبية؛ والربوبية تستلزم الإلهية؛ فإنّ أحدهما إذا تضمّن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران، كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝﴾ [الناس: ١ ـ ٣] وفي قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٢] فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب. فإنّ «الإله» هو المعبود الذي يستحق أن يعبد. و«الرب» هو الذي يربّ عبده فيدبره.

ولهذا كانت العبادة متعلّقة باسمه: الله، والسؤال متعلقاً باسمه: الرب؛ فإنّ العبادة هي الغاية التي لها خلق الخلق. والإلهية هي الغاية؛

= وباب (٢٤) إذا وهب جماعة لقوم، حديث رقم (٢٦٠٧ ـ ٢٦٠٨) ٥/ ٢٢٦ ـ ٢٣٧.

وفي كتاب فرض الخمس، باب (١٥) ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين، حديث رقم (٣١٣١ ـ ٣١٣٢) ٦/ ٢٧٦.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٤) قول الله تعالى: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم**﴾، حديث رقم (٤٣١٨ ـ ٤٣١٩) ٨/ ٣٢ ـ ٣٣.

وفي كتاب الأحكام، باب (٢٦) العرفاء للناس، حديث رقم (٧١٧٦ ـ ٧١٧٧) ١٣/ ١٦٨.

وأبو داود في كتاب الجهاد، باب (١٢٢) في فداء الأسير بالمال، حديث رقم (٢٦٩٣) ٣/ ٦٢.

والنسائي في كتاب السير من سننه الكبرى، باب (١٨٢) العرفاء للناس، حديث رقم (٨٨٧٦) ٥/ ٢٧٦.

والربوبية تتضمّن خلق الخلق وإنشاءهم، فهو متضمّن ابتداء حالهم؛ والمصلي إذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٥] فبدأ بالمقصود الذي هو الغاية على الوسيلة التي هي البداية؛ فالعبادة غاية مقصودة؛ والاستعانة وسيلة إليها: تلك حكمة وهذا سبب؛ والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف؛ ولهذا يقال: أول الفكرة آخر العمل، وأول البغية آخر الدرك. فالعلة الغائية متقدمة في التصوّر والإرادة، وهي متأخرة في الوجود. فالمؤمن يقصد عبادة الله ابتداء، وهو يعلم أنّ ذلك لا يحصل إلاّ بإعانته فيقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٥].

ولما كانت العبادة متعلّقة باسمه الله تعالى جاءت الأذكار المشروعة بهذا الاسم مثل كلمات الأذان: الله أكبر، الله أكبر. ومثل الشهادتين: أشهد أن لا إله إلاّ الله، [أشهد أن محمداً رسول الله]، ومثل التشهد: التحيات لله، ومثل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلاّ الله، والله أكبر.

وأما السؤال فكثيراً ما يجيء باسم الرب، كقول آدم وحواء: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ ﴾ [الأعراف: ٢٣] وقول نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [هود: ٤٧] وقول موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى ﴾ [القصص: ١٦] وقول الخليل: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٧] وقوله مع إسماعيل: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾ [البقرة: ١٢٧] وكذلك قول الذين قالوا: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٠١] ومثل هذا كثير.

وقد نقل عن مالك أنه قال: أكره للرجل أن يقول في دعائه: يا سيدي! يا سيدي! يا حنان! يا حنان! ولكن يدعو بما دعت به الأنبياء؛ ربنا! ربنا! نقله عنه

العتبي[1] في العتبية. وقال تعالى عن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

فإذا سبق إلى قلب العبد قصد السؤال ناسب أن يسأله باسمه الرب، وإن سأله باسمه: الله، لتضمّنه اسم الرب كان حسناً، وأما إذا سبق إلى قلبه قصد العبادة فاسم الله أولى بذلك. إذا بدأ بالثناء ذكر اسم الله، وإذا قصد الدعاء دعا باسم الرب، ولهذا قال يونس: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقال آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] فإنّ يونس عليه السلام ذهب مغاضباً، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] وقال تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٤٢] ففعل ما يلام عليه، فكان لحاله أن يبدأ بالثناء على ربه، والاعتراف بأنه لا إله إلاّ هو، فهو الذي يستحقّ أن يعبد دون غيره، فلا يطاع الهوى، **فإنّ اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده**، وقد روي أنّ يونس عليه السلام ندم على ارتفاع العذاب عن قومه بعد أن أظلّهم وخاف أن ينسبوه إلى الكذب فغاضب[2]،

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة الأموي، العتبي، القرطبي، الأندلسي، الفقيه، أحد الأعلام. ينسب إلى ولاء عتبة بن أبي سفيان، أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي، ورحل فأخذ بالقيروان عن سحنون، وبمصر عن أصبغ.

وروى عنه أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة. من تصانيفه: العتبية، وهي المستخرجة من الأسمعة المسموعة من مالك بن أنس. جمع فيها أشياء غريبة عن مالك. مات سنة خمس وخمسين ومائتين. انظر شذرات الذهب ٢/ ١٢٩، واللباب ٢/ ٣٢٠، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٧٦.

(٢) قال في البحر المحيط ٦/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥: «قيل: مغاضباً لقومه، أغضبهم بمفارقته، وتخوفهم حلول العذاب، وأغضبوه حين دعاهم إلى الله مدة، فلم يجيبوه،=

وفعل ما اقتضى الكلام الذي ذكره الله تعالى، وأن يقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهذا الكلام يتضمّن براءة ما سوى الله من الإلهية، سواء صدر ذلك [عن] هوى النفس أو طاعة الخلق أو غير ذلك. ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

والعبد يقول مثل هذا الكلام فيما يظنّه وهو غير مطابق، وفيما يريده وهو غير حسن.

وأما آدم عليه السلام فإنه اعترف أولاً بذنبه، فقال: ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولم يكن عند آدم مَنْ ينازعه الإرادة لما أمر الله به، مما يزاحم الإلهية بل ظنّ صدق الشيطان الذي: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١ ـ ٢٢] فالشيطان غرّهما وأظهر نصحهما، فكانا في قبول غروره وما أظهر من نصحه حالهما مناسباً لقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] لما حصل من التفريط، لا لأجل هوى وحظ يزاحم الإلهية، وكانا محتاجين إلى أن يربّهما ربوبية تكمل علمهما وقصدهما. حتى لا يغترّا بمثل ذلك، فهما يشهدان حاجتهما إلى الله ربهما الذي لا يقضي حاجتهما غيره.

= فأوعدهم بالعذاب ثم خرج من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب، قبل أن يأذن الله له في الخروج.

وقيل: مغاضباً للملك حزقيا... إلى أن قال: «وقول من قال: مغاضباً لربّه، وحكى في المغاضبة لربه كيفيات يجب إطراحه، إذ لا يناسب منها منصب النبوة، وينبغي أن يتأول لمن قال ذلك من العلماء كالحسن، والشعبي، وابن جبير، وغيرهم من التابعين، وابن مسعود من الصحابة رضي الله عنهم بأن يكون معنى قولهم: لربه: لأجل ربه تعالى وحمية لدينه» اهـ.

وانظر روح المعاني ٩/ ٨٣ ـ ٨٤، وزاد المسير ٥/ ٣٨١ ـ ٣٨٢، وبحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٧٧.

وذو النون شهد ما حصل من التقصير في حقّ الإلهية بما حصل من المغاضبة وكراهة إنجاء أولئك، ففي ذلك من المعارضة في الفعل لحب شيء آخر ما يوجب تجريد محبته لله وتألّهه له، وأن يقول: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] **فإنّ قول العبد: لا إله إلاّ أنت، يمحو أن يتخذ إلهه هواه**. وقد روي: «**ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع**»[(١)] فكمل يونس صلوات الله عليه تحقيق إلهيته لله، ومحو الهوى الذي يتخذ إلهاً من دونه، فلم يَبْقَ له صلوات الله عليه وسلامه عند تحقيق قوله: لا إله إلاّ أنت إرادة تزاحم إلهية الحق، بل كان مخلصاً لله الدين إذ كان من أفضل عباد الله المخلصين.

وأيضاً فمثل هذه الحال تعرض لمن تعرض له، فيبقى فيه نوع مغاضبة للقدر ومعارضة له في خلقه وأمره، ووساوس في حكمته ورحمته، فيحتاج العبد أن ينفي عنه شيئين: الآراء الفاسدة والأهواء الفاسدة، فيعلم أنّ الحكمة والعدل فيما اقتضاه علمه وحكمته لا فيما اقتضاه علم العبد وحكمته، ويكون هواه تبعاً لما أمر الله به، فلا يكون له مع أمر الله وحُكْمه هوى يخالف ذلك. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] وقد روى عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٥٠٢) ٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣، وابن أبي عاصم، حديث رقم (٣) ١/ ٨، وابن عدي في الكامل ٢/ ٣٠١، وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٢٨٠) ١/ ٣٨٨، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٣٩، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١١٨، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٦٦٧٤) ٤/ ٣٩٤ من حديث أبي أمامة وهو حديث موضوع فيه:
الحسن بن دينار، والخصيب بن جحدر: كذّابان، وانظر اللآلىء المصنوعة ٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، وتنزيه الشريعة ٢/ ٣٠٤.

حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1] رواه أبو حاتم في صحيحه.

وفي الصحيح: أن عمر، قال له: يا رسول الله! والله لأنت أحب إلي من نفسي.

قال: **«الآن يا عمر»**[2].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[3]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (١٥) ١/ ١٢، وابن بطة في الإبانة، حديث رقم (٢٧٩) ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨، والأصبهاني في الحجة، حديث رقم (١٠٣) ١/ ٢٥١، والخطيب في تاريخه ٤/ ٣٦٩، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٠٤) ١/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

وفي الشمائل، حديث رقم (١٢٣٤) ٢/ ٧٧٠ ـ ٧٧١، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٧٩٦٠) ٥/ ٣٠٠ وسنده ضعيف، فيه نعيم بن حماد: ضعيف.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب (٦) مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم (٣٦٩٤) ٧/ ٤٣ بجزء منه، وفي كتاب الإستئذان، باب (٢٧) المصافحة، حديث رقم (٦٢٦٤) ١١/ ٥٤ بجزء منه.

وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ؟، حديث رقم (٦٦٣٢) ١١/ ٥٢٣ بطوله.

وأبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب (٩) ما جاء في البيعة، حديث رقم (٢٩٤٢) ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤ بجزء منه، وأحمد في المسند ٤/ ٢٣٣ بطوله و٥/ ٢٩٣ بطوله، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، حديث رقم (٦٧٨ ـ ٦٧٩) ٢/ ١٢ بجزء منه، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٣) ١/ ٥١ بطوله.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٨) حب الرسول الله ﷺ من الإيمان، حديث رقم (١٥) ١/ ٥٨.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (١٦) وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد..، حديث رقم (٤٤) ١/ ٦٧. =

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فإذا كان الإيمان لا يحصل حتى يحكّم العبد رسوله ويسلّم له ويكون هواه لما جاء به. ويكون الرسول والجهاد في سبيله مقدّماً على حب الإنسان نفسه وماله وأهله، فكيف في تحكيمه الله تعالى والتسليم له؟! فمن رأى قوماً يستحقون العذاب في ظنه، وقد غفر الله لهم ورحمهم، وكره هو ذلك، فهذا إما أن يكون عن إرادة تخالف حكم الله وأما عن ظنّ يخالف علم الله، والله عليم حكيم. وإذا علمت أنه عليم، وأنه حكيم لم يبق لكراهية ما فعله وجه، وهذا يكون فيما أمر به وفيما خلقه ولم يأمرنا أن نكرهه ونغضب عليه.

فأما ما أمرنا بكراهته من الموجودات: كالكفر والفسوق والعصيان فعلينا أن نطيعه في أمره بخلاف توبته على عباده وإنجائه إياهم من العذاب فإنّ هذا من مفعولاته التي لم يأمرنا أن نكرهها، بل هي مما يحبها؛ فإنه يحب التوابين ويحب المتطهرين. فكراهة هذا من نوع اتباع الإرادة المزاحمة للإلهية، فعلى صاحبها أن يحقّق توحيد الإلهية فيقول: لا إلٰه إلاّ أنت.

= والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب (١٩) علامة الإيمان، ٨/ ١١٤ ـ ١١٥.

وابن ماجه في المقدمة من سننه، باب (٩) في الإيمان، حديث رقم (٦٧).

والدارمي في كتاب الرقاق، باب (٢٩) لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (٢٧٤٠ ـ ٢٧٤١) ٢/ ٣٩٧، وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٧ ـ ٢٧٨، وأبو عوانة ١/ ٣٣، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٧٩) ١/ ٤٠٦. وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥. والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٢) ١/ ٥٠.

فعلينا أن نحبّ ما يحبّ، ونرضى ما يرضى، ونأمر بما يأمر، وننهى عما ينهى. فإذا كان: يحب التوابين، ويحب المتطهرين، فعلينا أن نحبّهم؛ ولا نأله مراداتنا المخالفة لمحابه.

والكلام في هذا المقام مبني على «أصل»: وهو أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه كما قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦ ـ ١٣٧] وقال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

بخلاف غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء الله، ولهذا مَنْ سبَّ نبياً من الأنبياء قُتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل.

وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة؛ فإنّ «النبي» هو المنبأ عن الله، و«الرسول» هو الذي أرسله الله تعالى، وكلّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسولاً، والعصمة فيما يبلّغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ بإتفاق المسلمين.

ولكن هل يصدر ما يستدركه الله فينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته؟

هذا فيه قولان. والمأثور عن السلف يوافق القرآن بذلك. والذين منعوا ذلك من المتأخرين طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله: (**تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهن لترتجى**).

وقالوا: إنّ هذا لم يثبت، ومن علم أنه ثبت، قال: هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول ﷺ، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير - أيضاً -، وقالوا في قوله: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] هو حديث النفس.

وأما الذين قرّروا ما نقل عن السلف، فقالوا: هذا منقول نقلاً ثابتاً لا يمكن القدح فيه، والقرآن يدلّ عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤] فقالوا: الآثار في تفسير هذه الآية معروفة ثابتة في كتب التفسير والحديث[1]، والقرآن يوافق ذلك؛ فإنّ نسخ الله لما

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٤٣٩: «أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم، فلما بلغ: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى**﴾، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهنّ لترتجى.

فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم. فسجد وسجدوا. فنزلت هذه الآية.

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد، عن شعبة، فقال في =

. . . .

= إسناده: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ فيما أحسب ـ... ثم ساق الحديث.

وقال البزار: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد، تفرّد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور، قال: وإنما يروى هذا من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، انتهى.

والكلبي: متروك، ولا يعتمد عليه، وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي.

وذكره ابن إسحاق في السيرة مطولاً، وأسندها عن محمد بن كعب.

وكذلك موسى بن عقبة في المغازي، عن ابن شهاب الزهري، وكذا ذكره أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، وأورده من طريقه الطبري.

وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط، عن السدي.

ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب، عن يحيى بن كثير، عن الكلبي، عن أبي صالح، وعن أبي بكر الهذلي وأيوب، عن عكرمة وسليمان التيمي، عمن حدّثه ثلاثتهم، عن ابن عباس.

وأوردها الطبري ـ أيضاً ـ من طريق العوفي، عن ابن عباس. ومعناهم كلهم في ذلك واحد، وكلها سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف وإلا منقطع، **لكن كثرة الطرق تدلّ على أنّ للقصة أصلاً.**

مع أنّ لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين:

أحدهما: ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكره نحوه.

والثاني: ما أخرجه ـ أيضاً ـ من طريق المعتمر بن سليمان، وحماد بن سلمة فرّقهما، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية.

وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته، فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها.

وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول عياض: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده. =

. . . .

= وكذا قوله: ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية.

قال: وقد بيّن البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر، عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله.

وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه.

ثم ردّه من طريق النظر: بأنّ ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال: ولم ينقل ذلك انتهى.

وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد؛ فإنّ الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على أنّ لها أصلاً، وقد ذكرت أنّ ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها مَنْ يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعيّن تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهن لترتجى.

فإنّ ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك:

١ ـ فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة، وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته.

وهذا أخرجه الطبري عن قتادة، وردّه عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم.

٢ ـ وقيل: إنّ الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره.

وردّه ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿**وما كان لي عليكم من سلطان**﴾ الآية.

قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة.

٣ ـ وقيل: إنّ المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك، فعلق ذلك بحفظه ﷺ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهواً.

وقد ردّ ذلك عياض فأجاد.

٤ ـ وقيل: لعله قالها توبيخاً للكفار، قال عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً. =

يلقي الشيطان وإحكامه آياته إنما يكون لرفع ما وقع في آياته، وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها. وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس، والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ[1].

= وإلى هذا نحا الباقلاني.

٥ ـ وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿**ومناة الثالثة الأخرى**﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به، فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: ﴿**لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**﴾ ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

٦ ـ وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله ويعبدونها، فسيق ذكر الكل ليردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى**﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا: قد عظم آلهتنا، ورضوا بذلك، فنسخ تلك الكلمتين وأحكم آياته.

٧ ـ كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها.

قال: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير ﴿**تمنى**﴾ بتلا.

وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل. وقال قبله: إنّ هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه.

قال: ومعنى قوله: ﴿**في أمنيته**﴾ أي: في تلاوته، فأخبر تعالى في هذه الآية أنّ سنته في رسله إذ قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه. فهذا نص في أنّ الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أنّ النبي ﷺ قاله.

قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه» اهـ.

وانظر رسالة «نصب المجانيق» لشيخنا الألباني حفظه الله تعالى.

(١) انظر تفصيل لهذا الكلام في «الاكليل في المتشابه والتأويل» لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيقنا.

وهذا النوع أدلّ على صدق الرسول ﷺ وبعده عن الهوى من ذلك النوع، فإنه إذا كان يأمر بأمر ثم يأمر بخلافه وكلاهما من عند الله وهو مصدّق في ذلك، فإذا قال عن نفسه: إنّ الثاني هو الذي من عند الله وهو الناسخ، وإنّ ذلك المرفوع الذي نسخه الله ليس كذلك كان أدلّ على اعتماده للصدق وقوله الحق، وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها: لو كان محمد كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية[1]: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ألاَ ترى أنّ الذي يعظم نفسه بالباطل يريد أن ينصر كلّ ما قاله ولو كان خطأ، **فبيان الرسول ﷺ أنّ الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدلّ على تحرّيه للصدق وبراءته من**

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة المائدة، باب (٧) **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك﴾**، حديث رقم (٤٦١٢) ٨/ ٢٧٥.

وسورة النجم باب (١)، حديث رقم (٤٨٥٥) ٨/ ٦٠٦.

وفي كتاب التوحيد، باب (٤) وقول الله تعالى: **﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾**، حديث رقم (٧٣٨٠) ١٣/ ٣٦١.

وباب (٤٦) قول الله تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك...﴾**، حديث رقم (٧٥٣١) ١٣/ ٥٠٣.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٧٧) معنى قول الله عز وجل: **﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾**، حديث رقم (١٧٧) ١/ ١٥٩ ـ ١٦٠.

والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب (٧) ومن سورة الأنعام، حديث رقم (٣٠٦٨) ٥/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

وباب (٥٤) ومن سورة والنجم، حديث رقم (٣٢٧٨) ٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

والنسائي في سننه الكبرى، في كتاب التفسير باب سورة الأحزاب، باب (٢٨٢) قوله تعالى: **﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾**، حديث رقم (١١٤٠٨ ـ ١١٤٠٩) ٦/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣، وباب سورة النجم، حديث رقم (١١٥٣٢) ٦/ ٤٧١، وأحمد ٦/ ٤٩ ـ ٥٠، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٠) ١/ ٢٥٧، وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٢١ ـ ٣٢٣، والطبري في تفسيره ٢٧/ ٣٠، وابن منده الإيمان، حديث رقم (٧٦٣ـ إلى ـ٧٦٨) ٢/ ٧٦١ ـ ٧٦٦، وأبو عوانه ١/ ١٥٥.

الكذب، وهذا هو المقصود بالرسالة؛ فإنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم تسليماً، ولهذا كان تكذيبه كفراً محضاً بلا ريب.

وأما العصمة في غير ما يتعلّق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع:

هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع؟

ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها، أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها؟

أم لا يجب القول بالعصمة إلاّ في التبليغ فقط؟

وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث أم لا؟

والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع[1].

والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً، والردّ على مَنْ يقول إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدلّ على هذا القول.

وحجج النفاة لا تدلّ على وقوع ذنب أقرّ عليه الأنبياء؛ فإنّ القائلين بالعصمة احتجوا بأنّ التأسي بهم مشروع، وذلك لا يجوز إلاّ مع تجويز كون الأفعال ذنوباً، ومعلوم أنّ التأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه، كما أنّ الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه، فأما ما نسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأموراً به ولا منهياً عنه، فضلاً عن وجوب اتباعه والطاعة فيه.

وكذلك ما احتجوا به من أنّ الذنوب تنافي الكمال، أو أنها ممن

---

(١) انظر رسالتي: «عصمة الأنبياء»، فقد فصّلت القول في معنى العصمة، وتحديدها.

عظمت عليه النعمة أقبح، أو أنها توجب التنفير، أو نحو ذلك من الحجج العقلية، فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع، وإلاّ فالتوبة النصوح التي يقبلها اللَّهُ يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه، كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة.

وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحبّ الأشياء إليه، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.

وقد ثبت في الصحاح حديث التوبة: «**لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً**»[1] إلخ.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وقد ثبت في الصحيح حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها وهو مشفق من كبارها أن تظهر، فيقول الله له: «**إني قد غفرتها لك وأبدلتك مكان كلّ سيئة حسنة فيقول: أي رب! إنّ لي سيئآت لم أرها**»[2] إذا رأى تبديل السيئآت بالحسنات طلب رؤية

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب (٤) التوبة، حديث رقم (٦٣٠٩)، ١١/ ١٠٢.

ومسلم في كتاب التوبة، باب (١) الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم (٢٧٤٧) ٤/ ٢١٠٤ ـ ٢١٠٥.

وأحمد في المسند ٣/ ٢١٣، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦١٧) ٢/ ٣٨٣، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٠٣) ٥/ ٨٧ ـ ٨٨، وفي التفسير ٤/ ١٢٦، والبيهقي في الشعب، حديث رقم (٧١٠٥) ٥/ ٤١١، والخطيب في تاريخه ١٢/ ٤٤٦، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٤٩٩١) ٣/ ٣٦٥، والذهبي في السير ١٦/ ٤٧٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩٠) ١/ ١٧٧، والترمذي في كتاب صفة جهنم، باب (١٠)، حديث رقم =

الذنوب الكبار التي كان مشفقاً منها أن تظهر، ومعلوم أنّ حاله هذه مع هذا التبديل أعظم من حاله لو لم تقع السيئات ولا التبديل.

وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير: إنّ العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإنّ العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار، ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة، وقد قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ ـ ٧٣] فغاية كلّ إنسان أن يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم.

وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي أنزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذّر إحصاؤه.

والرادّون لذلك تأوّلوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص «الأسماء والصفات» ونصوص «القدر» ونصوص «المعاد» وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار أنها باطلة، وأنها من باب تحريف الكَلِمِ عن مواضعه، وهؤلاء يقصد أحدُهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم، ويريد الإيمانَ بهم فيقع في الكفر بهم.

ثم إنّ العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع، وهي «العصمة في التبليغ» لم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يقرّون بموجب ما بلّغته

= (٢٥٩٦) ٤/ ٧١٣، وفي الشمائل، حديث رقم (٢٢٩) بتحقيقي، وأحمد في المسند ٥/١٥٧ ـ ١٧٠، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٨٤٧ ـ ٨٤٨ ـ ٨٤٩) ٢/ ٨٢٢ ـ ٨٢٣، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٧٣٧٥) ١٦/ ٣٧٥. والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤٣٦٠) ١٥/ ١٩٢ ـ ١٩٣.

الأنبياء، وإنما يقرّون بلفظ حرّفوا معناه أو كانوا فيه كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلاّ أماني، والعصمة التي كانوا ادّعوها لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم إليها عندهم، فإنها متعلّقة بغيرهم لا بما أمروا بالإيمان به، فيتكلّم أحدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان من الله، ويدع ما يجب عليه من تصديق الأنبياء وطاعتهم، وهو الذي تحصل به السعادة، وبضدّه تحصل الشقاوة، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ [النور: ٥٤].

والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الأنبياء إلاّ مقروناً بالتوبة والإستغفار، كقول آدم وزوجته: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقول نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٧]، وقول الخليل عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وقول موسى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥ ـ ١٥٦]، وقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦] وقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى عن داود: ﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [صٓ: ٢٤ ـ ٢٥] وقوله تعالى عن سليمان: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [صٓ: ٣٥].

وأما يوسف الصديق فلم يذكر اللَّهُ عنه ذنباً؛ فلهذا لم يذكر اللَّهُ عنه ما يناسب الذنب من الاستغفار، بل قال: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤] **فأخبر أنه صرف عنه السوء**

والفحشاء، وهذا يدل على أنه لم يصدر منه سوء ولا فحشاء[1].

وأما قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] فالهم اسم جنس تحته «نوعان» كما قال الإمام أحمد: الهم همان: هم خطرات، وهم إصرار[2]، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «إنّ العبد إذا

(١) قال الرازي في تفسيره ما ملخصه: أنّ يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾، وشهد الشيطان بقوله: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال: ﴿إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾.

وشهد ببراءته النسوة اللآتي قطعن أيديهن بقولهن: ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾.

وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها: ﴿الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾.

وقول امرأة العزيز للنسوة: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾.

فالذي يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان.

وكلاهما شهد ببراءة يوسف، فلا معزلة عن الإقرار بالحق على أي حال، وهو براءة يوسف من الهم بها. وانظر نظم الدرر للبقاعي ١٠/ ٦٣ ـ ٦٥.

(٢) إنّ همّها كان معصية، أما همه الذي هم به هو ما يخطر في النفس، والمعنى أنه خطرات حديث النفس. هذا قول من الأقوال. وحكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق وقيل: هم الطباع مع الامتناع. قاله الحسن. أي: هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا اختيار للمرء فيه، وهو الذي رفع الله فيه المؤاخذة عن الخلق، إذ لا قدرة للمكلف على دفعه. فالهم في اللغة جاء لمعان أربعة:

١ ـ العزم على الفعل، لقوله تعالى: ﴿إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾، أي: أرادوا ذلك وعزموا عليه.

٢ ـ خطور الشيء بالبال، قال الله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما﴾، فإنما أراد الله تعالى: أن الفشل خطر ببالهم، ولو كان المراد =

هَمّ بسيئة لم تكتب عليه، وإذا تركها لله كتبت له حسنة، وإنّ عملها كتبت له سيئة واحدة وإن تركها من غير أن يتركها لله لم تكتب له حسنة ولا تكتب عليه سيئة»[1].

ويوسف عليه السلام هَمّ هماً تركه لله، ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه، وذلك إنما يكون إذا قام المقتضي للذنب وهو الهمّ، وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله.

فيوسف عليه السلام لم يصدر منه إلاّ حسنة يثاب عليها، وقال تعالى:

= ها هنا العزم لما صح أن يكون الله ولياً لهم، لأن العزم على المعصية معصية.

٣ ـ أن يستعمل بمعنى المقاربة، يقولون: هم بكذا، أي: كاد يفعله.

٤ ـ الشهوة وميل الطباع؛ لأن الإنسان قد يقول فيما يشتهيه: هذا من همي.

وعلى هذا يحمل الهم في آية ﴿**وهم بها**﴾ بأنه الميل النفسي في لحظة من اللحظات، وإنّ هذا القول ـ والذي اختاره كثير من العلماء والمفسرين ـ يفسّر همّه عليه السلام بميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف، بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله مَنْ يكفّ نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم.

وهناك أقوال أخرى انظرها في كتابنا: النبوة والعصمة، وانظر عمدة الحفاظ ٤/ ٣٠٢، وتنزيه الأنبياء ص ٤٤ ـ ٤٩، وزاد المسير ٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٧، والفتاوى ١٠/ ٥٧٤.

(١) شبح الإسلام روى الحديث بمعناه. والحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب (٣٥) قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدّلوا كلام الله**﴾، حديث رقم (٧٥٠١) ١٣/ ٤٦٥. ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٥٩) إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بسيئة لم تكتب، حديث رقم (١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠) ١/ ١١٧ ـ ١١٨.

والترمذي في كتاب القرآن، باب ومن سورة الأنعام، حديث رقم (٣٠٧٣) ٥/ ٢٦٥، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٤ ـ ٢٤٢ ـ ٣١٥ ـ ٤١١.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٧٩ ـ إلى ٣٨٤) / ١٠٣/٣ ـ ١٠٨، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٣٧٥ ـ إلى ـ ٣٧٩) ١/ ٤٩١ ـ ٤٩٤، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٤١٤٨) ١٤/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨، وفي تفسيره ٢/ ٤١٩ ـ ٤٢٠.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وأما ما ينقل: من أنه حَلَّ سراويله، وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده، وأمثال ذلك، فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم، وكلّ مَنْ نقله من المسلمين فعنهم نَقَلَهُ؛ لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفاً واحداً[1].

وقوله: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ ﴾ [يوسف: ٥٣] فمن كلام امرأة العزيز، كما يدّل القرآن على ذلك دلالة بيّنة، لا يرتاب فيها مَنْ تدّبر القرآن، حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يوسف: ٥٠ ـ ٥٣].

فهذا كلّه كلام امرأة العزيز، ويوسف إذ ذاك في السجن، لم يحضر بعد إلى الملك، ولا سمع كلامه ولا رآه؛ ولكن لما ظهرت براءته في غيبته ـ كما قالت امرأة العزيز ـ: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: ٥٢] أي: لم أخنه في حال مغيبه عني، وإنْ كنت في حال شهوده راودته فحينئذٍ:

---

(١) انظر في هذه الأقوال المنقولة عن أهل الكتاب: زاد المسير ٤/ ٢٠٧ ـ ٢١٠، وجامع البيان ١/ ١٨٠ ـ ١٨٩، وتفسير البغوي ٢/ ٤١٨ ـ ٤٢١، والبحر المحيط ٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، وروح المعاني ٦/ ٢١٣ ـ ٢١٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف: ٥٤] وقد قال كثير من المفسرين: إنّ هذا من كلام يوسف، ومنهم مَنْ لم يذكر إلاّ هذا القول، **وهو قول في غاية الفساد، ولا دليل عليه؛ بل الأدلة تدلّ على نقيضه**(١)، وقد بسط الكلام على هذه الأمور في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا: إنّ ما تضمّنته قصة ذي النون مما يلام عليه كلّه مغفور بدّله الله به حسنات؛ ورفع درجاته، وكان بعد خروجه من بطن الحوت وتوبته أعظم درجة منه قبل أن يقع ما وقع، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم: ٤٨ ـ ٥٠] وهذا بخلاف حال التقام الحوت، فإنه قال ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٤٢] فأخبر أنه في تلك الحال مليم، و«المليم»: الذي فعل ما يلام عليه، فالملام في تلك الحال لا في حال نبذه بالعراء وهو سقيم، فكانت حاله بعد قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] **ارفع من حاله قبل أن يكون ما كان، والاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى في البداية، والأعمال بخواتيمها.**

والله تعالى خلق الإنسان وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، ثم علّمه

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٨٠: «وهذا القول ـ أي: إنّ هذا من كلام امرأة العزيز ـ هذا الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة» اهـ.

انظر الفتاوى ١٥/١٣٨ ـ ١٥٦، وروح المعاني ٦/ ٢٦١، وتفسير الطبري ٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، والمحرر الوجيز ٣/٢٥٣ ـ ٢٥٤، وتفسير البغوي ٢/ ٤٣١، وحاشية الصاوي ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.

فنقله من حال النقص إلى حال الكمال، فلا يجوز أن يعتبر قدر الإنسان بما وقع منه قبل حال الكمال، بل الإعتبار بحال كماله، ويونس عليه السلام وغيره من الأنبياء في حال النهاية حالهم أكمل الأحوال.

ومن هنا غلط مَنْ غلط في تفضيل الملائكة على الأنبياء والصالحين؛ فإنهم اعتبروا كمال الملائكة مع بداية الصالحين ونقصهم فغلطوا، ولو اعتبروا حال الأنبياء والصالحين بعد دخول الجنان، ورضى الرحمن، وزوال كلّ ما فيه نقص وملام، وحصول كلّ ما فيه رحمة وسلام، حتى استقرّ بهم القرار: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤] فإذا اعتبرت تلك الحال ظهر فضلها على حال غيرهم من المخلوقين وإلاّ فهل يجوز لعاقل أن يعتبر حال أحدهم قبل الكمال في مقام المدح والتفضيل والبراءة من النقائص والعيوب.

ولو اعتبر ذلك لاعتبر أحدهم وهو نطفة ثم علقة، ثم مضغة، ثم حين نفخت فيه الروح، ثم هو وليد، ثم رضيع ثم فطيم، إلى أحوال أخر فعلم أنّ الواحد في هذه الحال لم تقم به صفات الكمال التي يستحقّ بها كمال المدح والتفضيل، وتفضيله بها على كلّ صنف وجيل؛ وإنما فضله باعتبار المآل، عند حصول الكمال.

وما يظنّه بعض الناس أنه مَنْ ولد على الإسلام فلم يكفر قط أفضل ممن كان كافراً فأسلم ليس بصواب؛ بل الاعتبار بالعاقبة، وأيهما كان أتقى لله في عاقبته كان أفضل. فإنه من المعلوم أنّ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله بعد كفرهم هم أفضل ممن ولد على الإسلام من أولادهم وغير أولادهم؛ **بل مَنْ عرف الشر وذاقه ثم عرف الخير وذاقه فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما؛ بل مَنْ لم يعرف إلاّ الخير**

فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شرّ، فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه.

ولهذا قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام مَنْ لم يعرف الجاهلية. وهو كما قال عمر؛ فإنّ كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومَنْ نشأ في المعروف لم يعرف غيره، فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم؛ ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره.

ولهذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم، لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقُبْح حال الكفر والمعاصي، ولهذا يوجد مَنْ ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك. ولهذا يقال:

والضد يظهر حسنه الضد.

ويقال:

وبضدّها تتبيّن الأشياء.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لست بخب ولا يخدعني الخب[1]. فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال

---

(١) قال في لسان العرب ١/ ٣٤٢: «الخِبّ: الفساد، والخب: هو الخدّاع المفسد، يقال: ما كنت خبّاً، ولقد خببت تخب خباً.

وقال ابن سيرين: إني لست بخبّ، ولكن الخبّ لا يخدعني» اهـ وانظر معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما مَنْ لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يمدح به.

وليس المراد أنّ كّل مَنْ ذاق طعم الكفر والمعاصي يكون أعلم بذلك وأكره له ممن لم يذقه مطلقاً؛ فإنّ هذا ليس بمطرد، بل قد يكون الطبيب أعلم بالأمراض من المرضى، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أطباء الأديان، فهم أعلم الناس بما يصلح القلوب ويفسدها، وإن كان أحدهم لم يذق من الشرّ ما ذاقه الناس.

ولكن المراد أنّ من الناس مَنْ يحصل له بذوقه الشرّ من المعرفة به، والنفور عنه، والمحبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس، مثل مَنْ كان مشركاً أو يهودياً أو نصرانياً، وقد عرف ما في الكفر من الشبهات والأقوال الفاسدة والظلمة والشر، ثم شرح الله صدره للإسلام، وعرفه محاسن الإسلام؛ فإنه قد يكون أرغب فيه، وأكره للكفر من بعض مَنْ لم يعرف حقيقة الكفر والإسلام؛ بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا، أو مقلد في مدح هذا وذم هذا.

ومثال ذلك: مَنْ ذاق طعم الجوع ثم ذاق طعم الشبع بعده، أو ذاق المرض ثم ذاق طعم العافية بعده، أو ذاق الخوف ثم ذاق الأمن بعده، فإنّ محبة هذا ورغبته في العافية والأمن والشبع ونفوره عن الجوع والخوف والمرض أعظم ممن لم يبتلَ بذلك ولم يعرف حقيقته.

وكذلك مَنْ دخل مع أهل البدع والفجور، ثم بيّن الله له الحق وتاب عليه توبة نصوحاً، ورزقه الجهاد في سبيل الله، فقد يكون بيانه لحالهم، وهجره لمساويهم، وجهاده لهم أعظم من غيره، قال نعيم بن حماد

الخزاعي[1]، وكان شديداً على الجهمية: أنا شديد عليهم؛ لأني كنت منهم[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَـٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل: ١١٠] نزلت هذه الآية في طائفة من الصحابة كان المشركون فتنوهم عن دينهم ثم تاب الله عليهم، فهاجروا إلى الله ورسوله؛ وجاهدوا وصبروا[3].

وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ من أشدّ الناس على الإسلام، فلما أسلما تقدّما على مَنْ سبقهما إلى الإسلام؛ وكان بعض من سبقهما دونهما في الإيمان والعمل الصالح بما كان عندهما من كمال الجهاد للكفار والنصر لله ورسوله؛ وكان عمر لكونه أكمل إيماناً وإخلاصاً وصدقاً ومعرفة وفراسة ونوراً أبعد عن هوى النفس وأعلى همة في إقامة دين الله، مقدّماً على سائر المسلمين، غير أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا وغيره مما يبين أنّ الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية.

وما يذكر في الإسرائيليات: «أنّ الله قال لداود: أما الذنب فقد غفرناه؛ وأما الود فلا يعود» فهذا لو عرفت صحته لم يكن شرعاً لنا وليس لنا أنْ نبني ديننا على هذا؛ فإنّ دين محمد ﷺ في التوبة جاء بما لم يجيء به شرع مَنْ

(١) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة، الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي المروزي، الفرضي، الأعور، صاحب التصانيف قال أحمد: كان شديد الرد على الجهمية، وأهل الأهواء. قال صالح بن مسمار: سمعت نعيم بن حماد يقول: أنا كنت جهمياً، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث، عرفت أنّ أمرهم يرجع إلى التعطيل وضع ثلاثة عشر كتاباً في الرد على الجهمية. انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥٩٥ ـ ٦١٢، وتاريخ بغداد ١٣/٣٠٦ ـ ٣١٤، وشذرات الذهب ٢/٦٧، وميزان الاعتدال ٤/٢٦٧ ـ ٢٧٠.

(٢) قاله صالح بن مسمار عنه. كما سبق ذكره. انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٥٩٧، وتاريخ بغداد ١٣/٣٠٧.

(٣) انظر في سبب نزولها: روح المعاني ٧/٣٤٠، وبحر العلوم للسمرقندي ٢/٢٥٢، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/٤٢٥، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٨٢.

قبله؛ ولهذا قال: «**أنا نبي الرحمة؛ وأنا نبي التوبة**»(١) وقد رفع به من الآصار والأغلال ما كان على مَنْ قبلنا.

وقد قال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] وأخبر أنه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والمركب إذا وجده بعد اليأس. فإذا كان هذا فرح الربّ بتوبة التائب وتلك محبته؛ كيف يقال: إنه لا يعود لمودته: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٤ ـ ١٦] ولكن ودّه وحبّه بحسب ما يتقرّب إليه العبد بعد التوبة؛ فإنْ كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة أفضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودّته له بعد التوبة أعظم من مودّته له قبل التوبة؛ وإن كان أنقص كان الأمر أنقص؛ فإنّ الجزاء من جنس العمل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

وقد ثبت في الصحيح عَنِ النبي ﷺ أنّه قال: «**يقول الله تعالى: مَنْ عادى لَي ولياً فقد آذنته بالحرب؛ وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها: فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه؛ ولئن استعاذني لأعيذنه، وماتردّدتُ عن شيء أنا فاعله تردّدي عن قَبْضِ نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدّ له منه**»(٢).

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي في الشمائل، حديث رقم (٣٦٩) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٥/ ٤٠٥. والبزار، في مسنده، حديث رقم (٢٣٧٨ ـ ٢٣٧٩) ٣/ ١٢٠، والآجري في الشريعة ص ٤٦٢، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٦٣١٥) ١٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، وابن سعد في الطبقات ١/ ١٠٤، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٣٦٣١) ١٢/ ٢١٢ ـ ٢١٣، وفي الشمائل، حديث رقم (١٥١) ١/ ١٤٠، والموصلي في الأحاديث الموضوعة ص ٩٨ ـ ٩٩، وسنده حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب (٣٨) التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢) =

ومعلوم أنّ أفضل الأولياء بعد الأنبياء السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ وكانت محبة الربّ لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودّة، وكلّما تقرّبوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وَوَدَّهم.

= ١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٤٧) ٢/ ٥٨، والبيهقي في سننه ٣/ ٣٤٦، وفي الأسماء والصفات ٢/ ٢٥١.

وفي الباب عن:

١ ـ **عائشة**: رواه أحمد في الزهد، وفي المسند ٦/ ٢٥٦، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٥، والبزار في مسنده، حديث رقم (٣٦٢٧) ٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٢ (كشف الأستار)، والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٤٥٦ ـ ١٤٥٧) ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨، وابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، حديث رقم (٤٥) ص ٢٣، والبيهقي في الزهد ص ١٧١ ـ ١٧٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٥٠ ـ ١٥١ من طريق عبد الواحد بن ميمون، عن عروة عنها. وذكر ابن عدي وابن حبان أنه تفرد به، وقد قال البخاري: إنه منكر الحديث. لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد، عن عروة وقال: لم يروه عن عروة إلا يعقوب وعبد الواحد. كما في الفتح ١١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢. وانظر مجمع الزوائد ٢/ ٢٤٧ و١٠/ ٢٦٩.

٢ ـ **أبي أمامة**: أخرجه البيهقي في الزهد، والطبراني بسند ضعيف، كما في الفتح ١١/ ٣٤٢. وقال في مجمع الزوائد ٢/ ٢٤٨: «فيه علي بن يزيد، وهو ضعيف» اهـ.

٣ ـ **علي**: عند الإسماعيلي في مسند علي وسنده ضعيف، كما في الفتح ١١/ ٣٤٢.

٤ ـ **ابن عباس**: أخرجه الطبراني، وسنده ضعيف، كما في الفتح ١١/ ٣٤٢.

٥ ـ **أنس**: رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٣١٨٠) ٥/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ والبزار، والطبراني، والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٤٥٦) ٢/ ٣٢٧، وابن أبي الدنيا في الأولياء، حديث رقم (١) ص ٩، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣١٨.

٦ ـ **ميمونة**: لكن فيه يوسف بن خالد السمني: كذاب، كما في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠. والحديث عن ميمونة رواه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٧٠٨٧) ١٢/ ٥٢٠.

وقد قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة: ٧] نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل: أهل الأحزاب كأبي سفيان بن حرب[١]، وأبي سفيان بن الحارث، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم، فإنّهم بعد معاداتهم لله ورسوله جعل الله بينهم وبين الرسل والمؤمنين مودّة، وكانوا في ذلك متفاضلين، وكان عكرمة وسهل والحارث بن هشام أعظم مودّة من أبي سفيان بن حرب ونحوه. وقد ثبت في الصحيح: «أنّ هند امرأة أبي سفيان أم معاوية، قالت: والله يا رسول الله! ما كان على وجه الأرض أهل خباء أحبَّ إليّ أن بذلوا من أهل خبائك، وقد أصبحت وما على وجه الأرض أهل خباء أحبّ إليّ أن يعزوا من أهل خبائك... فذكر النبي ﷺ لها نحو ذلك»[٢].

ومعلوم أنّ المحبة والمودّة التي بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبّهم لله تعالى؛ فإنّ أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله[٣].

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٠٥.

(٢) رواه بهذا اللفظ البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب (٣) كيف كانت يمين النبي ﷺ؟، وحديث رقم (٦٦٤١) ١١/ ٥٢٥.

وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٢٣) ذكر هند بنت عتبة رضي الله عنها، حديث رقم (٣٨٢٥) ٧/ ١٤١، وقد سبق تخريجه انظر ص ٤٦.

وخباء: بكسر المعجمة وتخفيف الموحدة مع المد: هي خيمة من وبر أو صوف، ثم أطلقت على البيت كيف ما كان، انظر فتح الباري ٧/ ١٤١.

(٣) لقوله ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان، الحب في الله، والبغض في الله»**: رواه ابن أبي شيبة في الإيمان، حديث رقم (١١٠) ص ٤٢، وفي المصنف، حديث رقم (٣٠٤٢٠) ٦/ ١٧٠، وحديث رقم (٣٤٣٣٨) ٧/ ٨٠، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٧٤٧) ص ١٠١ وفي أوله قصة.

وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٦ عن البراء بن عازب، والبيهقي في الشعب، حديث =

فالحبّ لله من كمال التوحيد؛ والحبّ مع الله شرك؛ قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] فتلك المودّة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين إنما كانت مودّة لله ومحبة لله ومَنْ أحبّ الله أحبّه الله، ومَنْ وَدَّ الله ودّه الله، فعلم أنّ الله أحبهم وودّهم بعد التوبة، كما أحبّوه وودّوه، فكيف يقال: إنّ التائب إنما تحصل له المغفرة دون المودة؟!.

وإنْ قال قائل: أولئك كانوا كفاراً، لم يعرفوا أنّ ما فعلوه محرّم؛ بل كانوا جهالاً، بخلاف مَنْ علم أنّ الفعل محرّم وأتاه؟.

= رقم (١٣-١٤) ١/ ٤٥ ـ ٤٦ وفي سنده: ليث بن أبي سليم: صدوق، اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك. انظر التقريب ٢/ ١٣٨، والكاشف ٣/ ١٣، والمغني ٢/ ٥٣٦.

ـ ورواه وكيع في الزهد، حديث رقم (٣٢٩) ٣/ ٦٠٠ عن عمرو بن مرة مرسلاً.

ـ ورواه ابن أبي شيبة في الإيمان، حديث رقم (١١١) ص ٤٢ موقوفاً على مجاهد بسند صحيح إلى مجاهد.

وفي الباب:

١ ـ **عن ابن مسعود:** رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٣٠٤٤٣) ٦/ ١٧٢ مختصراً، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (١٠٥٣١) ١٠/ ٢٧١ ـ ٢٧٢ مطولاً، وفي الصغير ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٣٧٨) ص ٥٠ وصححه الحاكم ٢/ ١٨٠ ووافقه الذهبي، والبيهقي في الآداب، حديث رقم (٢٣٥) ص ١٥٠. قال في مجمع الزوائد ١/ ٩٠: «وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث» اهـ.

٢ ـ **عن عمرو بن الجموح بنحوه:** عند أحمد في المسند ٣/ ٤٣. قال في مجمع الزوائد ١/ ٨٩: «رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد: وهو منقطع ضعيف» اهـ.

فبمجموع هذه الشواهد يرتقي الحديث ـ إن شاء الله تعالى ـ لدرجة الحسن لغيره، والله تعالى أعلم بالصواب.

قيل: **الجواب من وجهين:**

أحدهما: إنه ليس الأمر كذلك؛ بل كان كثير من الكفار يعلمون أنّ محمداً رسول الله، ويعادونه حسداً وكبراً وأبو سفيان قد سمع من أخبار نبوة النبي ﷺ ما لم يسمع غيره، كما سمع من أمية بن أبي الصلت، وما سمعه من هرقل ملك الروم، وقد أخبر عن نفسه أنّه لم يزل موقناً أنّ أمر النبي ﷺ سيظهر حتى أدخل الله عليه الإسلام، وهو كاره له، وقد سمع منه عام اليرموك وغيره ما دلّ على حسن إسلامه ومحبته لله ورسوله بعد تلك العداوة العظيمة.

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠] فإذا كان الله يبدّل سيئاتهم حسنات، فالحسنات توجب مودّة الله لهم، وتبديل السيئات حسنات ليس مختصاً بمن كان كافراً، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧] قال أبو العالية: سألت أصحاب رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالوا لي: كلّ مَنْ عصى الله فهو جاهل، وكلّ مَنْ تاب قبل الموت فقد تاب من قريب[(١)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٣/ ٦٤٠، وعزاه في الدر المنثور ٢/ ١٣٠ لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وانظر تفسير البغوي ١/ ٤٠٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٦٣ وعن قتادة قال: أجمع أصحاب محمد رسول الله ﷺ على أنّ كلّ مَنْ عصى ربّه فهو في جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل مَنْ عصى الله فهو جاهل.

رواه الطبري في تفسيره ٣/ ٦٤٠، والبغوي في معالم التنزيل ١/ ٤٠٧ وعزاه في الدر المنثور ٢/ ١٣٠ لعبد الرزاق وابن جرير عن قتادة، وانظر رسالتي «تقوى الله في الصوم» ص ٤٠ ـ ٤٧ لتوضيح هذا الكلام.

الوجه الثاني: إنّ ما ذكر من الفرق بين تائب وتائب في محبة الله تعالى للتائبين فرق لا أصل له؛ بل الكتاب والسنّة يدل على أنّ الله يحبّ التّوابين، ويفرح بتوبة التائبين، سواء كانوا عالمين بـأنّ ما أتوه ذنباً أو لم يكونوا عالمين بذلك.

ومَنْ علم أنّ ما أتاه ذنباً ثم تاب فلا بدّ أن يبدّل وصفه المذموم بالمحمود؛ فإذا كان يبغض الحق فلا بدّ أن يحبّه، وإذا كان يحبّ الباطل فلا بدّ أن يبغضه. فما يأتي به التائبُ من معرفة الحق ومحبته والعمل به، ومن بُغْضِ الباطل واجتنابه هو من الأمور التي يحبها الله تعالى ويرضاها، ومحبة الله كذلك بحسب ما يأتي به العبد من محابّه، فكلّ مَنْ كان أعظم فعلاً لمحبوب الحقّ كان أعظم محبة له، وانتقاله من مكروه الحق إلى محبوبه مع قوة بغض ما كان عليه من الباطل، وقوة حب ما انتقل إليه من حب الحق؛ فوجب زيادة محبة الحق له ومودّته إياه؛ بل يبدّل الله سيئاته حسنات لأنه بدّل صفاته المذمومة بالمحمودة، فيبدّل الله سيئاته حسنات، فإنّ الجزاء من جنس العمل.

وحينئذٍ فإذا كان إتيان التائب بما يحبّه الحقّ أعظم من إتيان غيره كانت محبّة الحقّ له أعظم، وإذا كان فعله لما يودّه الله منه أعظم من فعله له قبل التوبة كانت مودّة الله له بعد التوبة أعظم من مودّته له قبل التوبة، فكيف يقال الود لا يعود؟!!.

وبهذا يظهر جواب شبهة مَنْ يقول: إنّ الله لا يبعث نبياً إلاّ مَنْ كان معصوماً قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك مَنْ قال: إنّه لا يبعث نبياً إلاّ مَنْ كان مؤمناً قبل النّبوة؛ فإنّ هؤلاء توهّموا أنّ الذنوب تكون نقصاً وإن تاب التائب منها، وهذا منشأ غلطهم فَمَنْ ظنّ أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصاً، فهو غالط غلطاً عظيماً، فإنّ الذمّ والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلاً؛ لكن

إنْ قدّم التوبة لم يلحقه شيء، وإن أخّر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله.

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخّرون التوبة؛ بل يسارعون إليها، ويسابقون إليها؛ لا يؤخّرون ولا يصرّون على الذنب، بل هم معصومون من ذلك، ومَنْ أخّر ذلك زمناً قليلاً كفّر الله [له] ذلك بما يبتليه به، كما فعل بذي النون ﷺ ـ هذا على المشهور ـ أنّ إلقاءه كان بعد النبوة؛ وإما مَنْ قال: إنّ إلقاءه كان قبل النبوة فلا يحتاج إلى هذا.

والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب؛ وإذا كان قد يكون أفضل، فالأفضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله في الفضيلة، وقد أخبر الله عن إخوة يوسف بما أخبر من ذنوبهم، وهم الأسباط الذين نبّأهم الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] فآمن لوط لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم أرسله الله تعالى إلى قوم لوط، وقد قال تعالى في قصة شعيب: ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٨ ـ ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣ ـ ١٤].

وإذا عرف أنّ الاعتبار بكمال النهاية، وهذا الكمال إنّما يحصل بالتوبة والإستغفار، **ولا بُدّ لكلّ عبد من التوبة، وهي واجبة على الأولين والآخرين؛** كما قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وقد أخبر الله سبحانه بتوبة آدم ونوح ومَنْ بعدهما إلى خاتم المرسلين محمد ﷺ، وآخر ما نزل عليه أو مِن آخر ما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[1] [النصر: ١ ـ ٣] وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيّ ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأوّل القرآن[2].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب التفسير، حديث رقم (٣٠٢٤) ٤/٢٣١٨، والنسائي في سننه الكبرى، سورة النصر، حديث رقم (٧٣٣) ٢/٥٦٨، عن ابن عباس: آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً.

ووجه الجمع بين هذا القول وبين أن آخر ما نزل **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾**، أن آخرية سورة النصر نزولها كاملة، انظر فتح الباري ٨/٧٣٤، والإتقان ١/٨٩، ومناهل العرفان ١/٨٤ بتحقيقي، وتفسير البغوي ٤/٥٤٢، وتفسير الطبري ١٢/٧٢٩ ـ ٧٣١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب (١٢٣) الدعاء في الركوع، حديث رقم (٧٩٤) ٢/٢٨١، وباب (١٣٩) التسبيح والدعاء في السجود، حديث رقم (٨١٧) ٢/٢٩٩، وفي كتاب المغازي، باب (٥١)، حديث رقم (٤٢٩٣) ٨/١٩، وفي كتاب التفسير، باب (١١٠) سورة **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾**، حديث رقم (٤٩٦٧ ـ ٤٩٦٨) ٨/٧٣٣.

ومسلم في كتاب الصلاة، باب (٤٢) ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٤) ١/٣٥٠ ـ ٣٥١، وأبو داود في الصلاة، باب (١٤٨) في الدعاء في الركوع والسجود، حديث رقم (٨٧٧) ١/٢٣٢، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، ٢/١٩٠، وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، سورة النصر، حديث رقم (٨٣٠) ٢/٥٦٤ ـ ٥٦٥، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (٢٠) التسبيح في الركوع والسجود، حديث رقم (٨٨٩) بتحقيقنا، وأحمد في المسند ٦/٤٣ ـ ٤٩، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٩٢٩ ـ ١٩٣٠) ٥/٢٥٥ ـ ٢٥٦، وحديث رقم (٦٤١٢) ١٤/٣٢٤، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٦٠٠ ـ ٦٠١ ـ ٦٠٢ ـ ٦٠٣ ـ ٦٠٤) ٢/١٠٦٩ ـ ١٠٧٠. والمروزي في مختصر قيام الليل ص ١٦٥، وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٦٠٥) ١/٣٠٥، والبيهقي في سننه ٢/٨٦ ـ ١٠٩، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٦١٨) ٣/١٠٠.

وقد أنزل الله عليه قبل ذلك: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ [التوبة: ١١٧].

وفي صحيح البخاري، عن النبي ﷺ أنّه كان يقول: **«يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»**(١).

وفي صحيح مسلم، عن الأغرّ المزني، عن النبي ﷺ أنّه قال: **«إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»**(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب (٣) استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، حديث رقم (٦٣٠٧) ١١/ ١٠١، والترمذي في كتاب التفسير، باب (٤٨) ومن سورة محمد ﷺ، حديث رقم (٣٢٥٩) ٥/ ٣٨٣، والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٣٦) ص ٣٢٥، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٧) الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٥) بتحقيقي.

وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٢ - ٣٤١، وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٦٧) ص ١٣١ - ١٣٢، وحديث رقم (٣٦٩) ص ١١٢، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٤٤٢) ٦/ ٥٦.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٢٥) ٣/ ٢٠٤، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨٢٠) ٣/ ١٦١٦، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٨٥) ٥/ ٦٩، وفي الشمائل، حديث رقم (١١٤٧) ٢/ ٧١٦ - ٧١٧، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (١٥٧) ١/ ٨٩ من طرق عن أبي هريرة. ونظر تفصيل وباقي تخريج الحديث في تخريجنا لسنن ابن ماجه برقم (٣٨١٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب (١٢) استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (٢٧٠٢) ٤/ ٢٠٧٥ - ٢٠٧٦، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (٢٦) في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٥) ٣/ ٨٤ - ٨٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٤٢ - إلى - ٤٤٧) ص ٣٢٥ - ٣٢٧، وأحمد في المسند ٤/ ٢١١ - ٢٦٠ - ٢٦١ - و٥/ ٤١١، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٤٤٤) ٦/ ٥٧، وحديث رقم (٣٥٠٧٢) ٧/ ١٧٢، والبخاري في الأدب =

وفي السنن، عن ابن عمر، أنّه قال: كنّا نعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «**ربّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**» مائة مرة[1].

= المفرد، حديث رقم (٦٢١) ص ٢١٨، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (١٢٠٢) ص ١٦٦ ـ ١٦٧، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٣١) ٢١١/٣، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨٢٦ ـ ١٨٣٥) ١٦١٨/٣ ـ ١٦٢١، وفي المعجم الكبير، حديث رقم (٨٨٢ ـ إلى ـ ٨٩٠) ٣٠١/١ ـ ٣٠٢، وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده، حديث رقم (٣٦٣ ـ ٣٦٤) ص ١٤١ ـ ١٤٢.

ونعيم في زوائد الزهد، حديث رقم (١١٤٠) ص ٤٠١.

والحاكم في المستدرك ٥١١/١، والخطيب في تاريخه ٢٢٠/٥ و٢٤/٨، والبيهقي في الشعب ٤٣٨/١، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٨٧ ـ ١٢٨٨) ٧٠/٥ ـ ٧١.

وفي تفسيره ٣٤٠/٣ و١٨٢/٤ ـ ١٨٣، وفي الشمائل، حديث رقم (١١٤٥) ٧١٦/٢.

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب (٢٦) في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٦) ٨٥/٣.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٣٩) ما يقول إذا قام من المجلس، حديث رقم (٣٤٣٤) ٤٩٤/٥ ـ ٤٩٥.

والنسائي في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٥٨) ص ٣٣١.

وابن ماجه في كتاب الأدب، باب (٥٧) الاستغفار، حديث رقم (٣٨١٤) بتحقيقي.

وأحمد في المسند ٢١/٢، وفي الزهد، حديث رقم (٢١٣) ص ٦٨.

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٤٤٣) ٥٧/٦.

وحديث رقم (٣٥٠٣٧) ١٧٢/٧، والبخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٦١٨) ص ٢١٧، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٢٧) ٢٠٦/٣.

وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (٧٨٦) ص ٢٥١، وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٣٧٠) ص ١٣٢ ـ ١٣٣. =

وفي الصحيحين عن أبي موسى، عن النبي ﷺ أنّه كان يقول: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني.**

اللهم! اغفر لي هزلي وجدّي وخطئي وعَمْدي، وكلّ ذلك عندي.

اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ وما أنت أعلم به مني. أنت المقدّم وأنت المؤخّر، وأنت على كلّ شيء قدير»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، أنه قال: يا رسول الله! أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول؟

قال: «**أقول: اللّهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.**

اللـهم! نقني من خطاياي كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ».

= وتمام في فوائده، حديث رقم (١٥٦٩)٤/ ٤٠٩، وأبو نعيم في الحلية ٥/ ١٢، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (١٨٢٥) ٣/ ١٦١٧ ـ ١٦١٨، والبيهقي في الشعب، حديث رقم (٦٤١) ١/ ٤٣٨، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٢٨٩) ٥/ ٧١، وفي الشمائل، حديث رقم (١١٤٩) ٢/ ٧١٨، وفي تفسيره ٣/ ٣٤٠.

قلت: سنده صحيح.

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب (٦٠) قول النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرّت**»، حديث رقم (٦٣٩٨ ـ ٦٣٩٩) ١١/ ١٩٦ ـ ١٩٧.

ومسلم في كتاب الذكر، باب (١٨) التعوّذ من شرّ ما عمل، ومن شرّ ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧١٩) ٤/ ٢٠٨٧.

وأحمد في المسند ٤/ ٤١٧.

وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢٩٣٩٢) ٦/ ٥.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٩٥٤ ـ ٩٥٧) ٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٨ (الإحسان)، والبيهقي في الآداب، حديث رقم (٦٨٨ ـ ٦٨٩) ص ٢٣٩، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٧١) ٥/ ١٧٢.

اللـهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد والماء البارد»[1].

وفي صحيح مسلم وغيره أنه كان يـقول نحو هذا إذا رفع رأسه من الركوع[2].

وفي صحيح مسلم عن علي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح: «**اللهم! أنت الملك لا إلٰه إلاّ أنت، أنت ربي وأنا**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب (٨٩) ما يقول بعد التكبير، حديث رقم (٧٤٤) ٢/ ٢٢٧.

ومسلم في كتاب المساجد، باب (٢٧) ما يقال بعد تكبيرة الإحرام والقراءة، حديث رقم (٥٩٨) ١/ ٤١٩.

وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٢١) السكتة عند الافتتاح، حديث رقم (٧٨١) ١/ ٢٠٧.

والنسائي في كتاب الافتتاح، باب (١٤) سكوت الإمام بعد افتتاحه الصلاة، ٢/ ١٢٩.

وأحمد في المسند ٢/ ٢٣١ ـ ٤٩٤، والدارمي في كتاب الأذان، باب (٣٧) في السكتتين، حديث رقم (١٢٤٤) ١/ ٣١٣.

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب افتتاح الصلاة، حديث رقم (٨٠٥) بتحقيقي.

وأبو عوانة ١/ ٩٨ ـ ٩٩، والدارقطني في سننه ١/ ٣٣٦، وابن الجارود في المنتقى، حديث رقم (٣٢٠) ١/ ٢٧١ (غوث المكدود)، وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٥٦٤) ١/ ٢٣٧، وابن حبان في صحيحه (١٧٧٥ ـ ١٧٧٦ ـ ١٧٧٨) ٥/ ٧٨، والبيهقي في سننه ٢/ ١٩٥، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٥٧٤) ٣/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) عن عبد الله بن أبي أوفى يحدّث عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم لك الحمد، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم طهّرني بالثلج والبرد والماء البارد. اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ**:

رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب (٤٠) ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم (٤٧٦) ١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧، والنسائي في كتاب الطهارة، باب (٣) الإغتسال بالثلج والبرد، ١/ ١٩٨، وباب (٤) الإغتسال بالماء البارد ١/ ١٩٩.

عبدك، ظلمتُ نفسي وعملتُ سوءاً فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلاّ أنت»[1].

وفي صحيح مسلم، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في سجوده: «اللهم! اغفر لي ذنبي كلّه دقّه وجلّه، علانيته وسرّه، أوله وآخره»[2].

وفي السنن عن علي: «أنّ النبي ﷺ أتى بدابة ليركبها وإنه حمد الله وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣ ـ ١٤] ثم كبره وحمده ثم قال: «سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، ثم ضحك! وقال: إنّ

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٦) الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٧١) ١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٦.

وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٢٢) ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، حديث رقم (٧٦٠) ١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٣٢) منه، حديث رقم (٣٤٢١ ـ ٣٤٢٢ ـ ٣٤٢٣) ٥/ ٤٨٥ ـ ٤٨٨.

والنسائي في كتاب الافتتاح، باب (١٦) نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة، ٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والدارمي في كتاب الصلاة، باب (٣٣) ما يقال بعد افتتاح الصلاة، حديث رقم (١٢٣٨) ١/ ٣٠٩، وأحمد في المسند ١/ ٩٤ ـ ١٠٢، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٤٩٣ ـ ٤٩٤ ـ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) ٢/ ١٠٢٦ ـ ١٠٣٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب (٤٢) ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٤٨٣) ١/ ٣٥٠، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب (١٤٨) في الدعاء في الركوع والسجود، حديث رقم (٨٧٨) ١/ ٢٣٢، وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (٦٧٢) ١/ ٣٣٥، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٩٣١) ٥/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٣٤، وأبو عوانة ٢/ ١٨٥ ـ ١٨٦، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٦٢٠) ٣/ ١٠١ ـ ١٠٢.

والدق: الدقيق، ويراد به الصغير، والجلّ، الجليل: العظيم.

الرب يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، يقول: علم عبدي أنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنا»[1].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب (٧٤) ما يقول الرجل إذا سافر، حديث رقم (٢٦٠٢) ٣/ ٣٤.

والترمذي في كتاب الدعوات، باب (٤٧) ما يقول إذا ركب الناقة، حديث رقم (٣٤٤٦) ٥/ ٥٠١، وفي الشمائل، حديث رقم (٢٣٣) بتحقيقنا.

والنسائي في كتاب السير من سننه الكبرى، باب (١٢٨) التسمية عند ركوب الدابة، حديث رقم (٨٧٩٩) ٥/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨، وباب (١٢٩) التكبير والتحميد عند الاستواء على الدابة، حديث رقم (٨٨٠٠) ٥/ ٢٤٨.

وأحمد في المسند ١/ ٩٧ ـ ١١٥ ـ ١٢٨، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٩٤٨٠) ١٠/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (١٣٢) ص ٢٠٠، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٨٦) ١/ ٤٣٩، والدولابي في الكنى، ٢/ ١٤١.

والبخاري في التاريخ الصغير ١/ ٣٢٦، والمحاملي في الأمالي، حديث رقم (٢١١) ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ مختصراً، وفي الدعاء، حديث رقم (١٦ ـ إلى ـ ٢٠) ص ١٠٣ ـ ١٠٩، وابن أبي حاتم في العلل ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، حديث رقم (٨٨ ـ ٨٩) ص ٥٨ ـ ٥٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٩٨ ـ ٩٩، والدارقطني في العلل ٤/ ٥٩، والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٧٧٧ ـ إلى ـ ٧٨٧) ٢/ ١١٥٩ ـ ١١٦٥.

وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٦٩٧ ـ ٢٦٩٨) ٦/ ٤١٤ ـ ٤١٥.
وابن السني في عمل اليوم والليلة، حديث رقم (٤٩٦) ص ١٧٤ ـ ١٧٥.
والمقدسي في الترغيب في الدعاء والحث عليه، حديث رقم (١٢٤) ص ٢٣١ بتحقيقنا.

وشرف الدين المقدسي في فضل الدعاء والداعين ص ١٦٩ ـ ١٧٠، والبيهقي في سننه ٥/ ٢٥٢، وفي الأسماء والصفات ٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٤٢ ـ ١٣٤٣) ٥/ ١٣٨ ـ ١٤٠، وفي الشمائل، حديث رقم (٣٠٦) ١/ ٢٥٠، وحديث رقم (١١٢١) ٢/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤، وفي التفسير ٤/ ١٣٥.

قلت: سنده ضعيف، معضل:

أبو إسحاق: لم يسمع هذا الحديث من علي بن ربيعة، يبيّن ذلك ما رواه عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، قال: **قلت لأبي إسحاق**: سمعته من علي بن=

وقد قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] وقال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢].

وثبت في الصحيحين في حديث الشفاعة: «أنّ المسيح يقول: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»(١).

= ربيعة؟ فقال: حدثني يونس بن خباب، عن رجل عنه. انظر العلل للدارقطني ٤/ ٦١، والعلل لابن أبي حاتم ٢/ ٢٧٢، والتاريخ الصغير ١/ ٣٢٦، وتحفة الأشراف ٧/ ٤٣٦. وله طرق أخرى عن علي، ولأوله شاهد عن ابن عمر، انظر تخريج هذه الطرق، والشاهد في تخريجنا لكتاب الترغيب الدعاء والحث عليه برقم (١٢٤).

(١) هو جزء من حديث الشفاعة، منهم من طوّله، ومنهم من اختصره: رواه البخاري في الإيمان، باب (٣٣) زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٤) ١/ ١٠٣ مختصراً.

وفي كتاب التفسير، سورة البقرة، حديث رقم (٤٤٧٦) ٨/ ١٦٠ مطولاً.

وفي كتاب الرقاق، باب (٥١) صفة الجنة والنار، حديث رقم (٦٥٦٥) ١١/ ٤١٧ ـ ٤١٨ مطولاً.

وفي كتاب التوحيد، باب (١٩) قول الله تعالى: **﴿لما خلقت بيدي﴾**، حديث رقم (٧٤١٠) ١٣/ ٣٩٢، مطولاً.

وباب (٢٤) قول الله تعالى: **﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾**، حديث رقم (٧٤٤٠) ١٣/ ٤٢٢ مطولاً.

وباب (٣٦) كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حديث رقم (٧٥٠٩ مختصراً ـ ٧٥١٠ مطولاً) ١٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤.

وباب (٣٧) ما جاء في قوله عز وجل: **﴿وكلّم الله موسى تكليماً﴾**، حديث رقم (٧٥١٥) ١٣/ ٤٧٧ مختصراً.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٨٤) أدنى أهل الجنة منزلة، حديث رقم (١٩٣) ١/ ١٨٠ ـ ١٨١.

والنسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى، باب (٢) قوله تبارك وتعالى: **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾**، حديث رقم (١٠٩٨٤) ٦/ ٢٨٤ مختصراً. =

وفي الصحيح «أنّ النبي ﷺ كان يقوم حتى ترم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر اللَّهُ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!.

قال: **أفلا أكون عبداً شكوراً**»[1].

= وباب (١٨٥) قوله تعالى: **﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾**، حديث رقم (١١٢٤٣) ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

وباب (٢٩٨) قوله تعالى: **﴿فنظر نظرة في النجوم فقال: إني سقيم﴾**، حديث رقم (١١٤٣٣) ٦/ ٤٤٠ ـ ٤٤١.

والترمذي في كتاب صفة جهنم، باب (٩) ما جاء أن للنار نفسين، حديث رقم (٢٥٩٣) ٤/ ٧١١ ـ ٧١٢.

وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٣٧) ذكر الشفاعة، حديث رقم (٤٣١٢) بتحقيقنا،وأحمد في المسند ٣/ ١١٦ ـ ١٧٣ ـ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ـ ٢٧٦، وأبو عوانة في مسنده ١/ ١٧٨ ـ ١٨٠، وابن منده في الإيمان (٨٦١ ـ ٨٦٢) ٢/ ٨٣٢ ـ ٨٣٣، وحديث رقم (٨٦٨ ـ ٨٦٩ ـ ٨٧٠ ـ ٨٧١) ٢/ ٨٣٩ ـ ٨٤٠، وعبد بن حميد في المنتخب في مسنده، حديث رقم (١١٨٦) ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٣١٦٧٧) ٦/ ٣٠٩، واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (٢٠٦١ ـ ٢٠٦٢)٦/ ١٠٩٨ ـ ١١٠٠، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٢٨٩٩) ٥/ ٢٧٨ ـ ٢٨٠، وحديث رقم (٣٠٦٤) ٥/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨، وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٤٩ ـ ٢٥٣.

وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٨٠٧ ـ ٨٠٨ ـ ٨٠٩) ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤، وحديث رقم (٨١٠) ص ٣٦٥، وحديث رقم (٨١٦) ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤. والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٢٠١٠) ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩، والبيهقي في الشعب ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦، وفي الأسماء والصفات ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤ و٢/ ٤٣، وفي الاعتقاد ص ٨٩ ـ ١٩٢ ـ ١٩٤، والآجري في الشريعة ص ٣٤٥ ـ ٣٤٩، والبغوي في شرح السنة حديث رقم (٤٣٣٣) ٥/ ١٥٧ ـ ١٦٠، وفي التفسير ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١، وله طرق أخرى انظر تفصيلها وتخريجها في تخريجنا لابن ماجه برقم (٤٣١٢).

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب (٦) قيام النبي ﷺ، حديث رقم (١١٣٠) ٣/ ١٤.

وفي كتاب التفسير، سورة الفتح، باب (٢) **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك..﴾**، حديث رقم (٤٨٣٦) ٨/ ٥٨٤. =

ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة.

لكن المنازعون يتأوّلون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك مَنْ صَنَّفَ في هذا الباب. وتأويلاتهم تبيّن لمن تدبّرها إنها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه، كتأويلهم قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] المتقدم: ذنب آدم والمتأخر: ذنب أمته، وهذا معلوم البطلان ويدل على ذلك وجوه.

أحدها: أنّ آدم قد تاب الله عليه قبل أن ينزل إلى الأرض فضلاً عن عام الحديبية الذي أنزل الله فيه هذه السورة قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٢]، وقال ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ

= وفي كتاب الرقاق، باب (٢٠) الصبر عن محارم الله، حديث رقم (٦٤٧١) ١١/٣٠٣، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب (١٨) إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة، حديث رقم (٢٨١٩) ٤/ ٢١٧١ ـ ٢١٧٢.

والنسائي في كتاب قيام الليل، باب (١٧) الاختلاف على عائشة في إحياء الليل ٣/ ٢١٩، والترمذي في الشمائل، حديث رقم (٢٦١) بتحقيقنا، وفي كتاب الصلاة، باب (٣٠٤) ما جاء في الاجتهاد في الصلاة، حديث رقم (٤١٢) ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب (٢٠٠) ما جاء في طول القيام في الصلوات، حديث رقم (١٤١٩) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٥، ووكيع في الزهد، حديث رقم (١٤٨) ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (٤٧٤٦) ٣/ ٥٠، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، حديث رقم (٢٢٣ ـ ٢٢٤) ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، والحميدي في مسنده، حديث رقم (٧٥٩) ٢/ ٣٣٥، وتمام في فوائده، حديث رقم (٤٠٤) ٢/ ١٨، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣١١) ٢/ ٩، وابن خزيمة في صحيحه، حديث رقم (١١٨٢ ـ ١١٨٣) ٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١، والبيهقي في سننه ٣/ ١٦، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٩٣١) ٤/ ٤٤ ـ ٤٥.

﴿كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧] وقد ذكر أنه قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

والثاني: أن يقال: فآدم عندكم من جملة موارد النزاع ولا يحتاج أن يغفر له ذنبه عند المنازع؛ فإنه نبي ـ أيضاً ـ ومَنْ قال: إنه لم يصدر من الأنبياء ذنب يقول ذلك عن آدم ومحمد وغيرهما.

الوجه الثالث: أن الله لا يجعل الذنب ذنباً لمن لم يفعله، فإنه هو القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فمن الممتنع أن يضاف إلى محمد ﷺ ذنب آدم عليه السلام أو أمته أو غيرهما. وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور: ٥٤] وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤] ولو جاز هذا لجاز أن يضاف إلى محمد ذنوب الأنبياء كلّهم، ويقال: إنّ قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] المراد: ذنوب الأنبياء، وأممهم قبلك، فإنه يوم القيامة يشفع للخلائق كلّهم، وهو سيد ولد آدم، وقال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة. أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمامهم إذا اجتمعوا**»(١).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب (٢) تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم (٢٢٧٨) ٤/ ١٧٨٢.

وأبو داود في كتاب السنة، باب (١٤) التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حديث رقم (٤٦٧٣) ٤/ ٢١٨، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٣١٧٢٨) ٦/ ٣١٧، وابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (٧٩٢) ص ٣٥٥، واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (١٤٥٣) ٤/ ٧٨٨، والأصبهاني في الحجة، حديث رقم (٣٩٨) ٢/ ٣٩٣، والبيهقي في سننه ٩/ ٤، والبغوي في التفسير ٣/ ١٣١ ـ ١٣٢، من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن أبي سعيد، وعبد الله بن سلام، وابن عباس رضي الله عنهم، انظر تخريج أحاديثهم في تخريجنا لسنن ابن ماجه برقم (٤٣٠٨).

وحينئذٍ فلا يختص آدم بإضافة ذنبه إلى محمد، بل تجعل ذنوب الأولين والآخرين على قول هؤلاء ذنوباً له.

فإن قال: إنّ الله لم يغفر ذنوب جميع الأمم؟

قيل: وهو ـ أيضاً ـ لم يغفر ذنوب جميع أمته.

الوجه الرابع: أنه قد ميّز بين ذنبه وذنوب المؤمنين بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] فكيف يكون ذنب المؤمنين ذنباً له؟!.

الوجه الخامس: أنه ثبت في الصحيح أنّ هذه الآية لما نزلت قال الصحابة: يا رسول الله! هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] فدلّ ذلك على أنّ الرسول والمؤمنين علموا أنّ قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] مختص به دون أمته.

الوجه السادس: أنّ الله لم يغفر ذنوب جميع أمته، بل قد ثبت إنّ من أمتّه مَنْ يعاقب بذنوبه: إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة، وهذا مما تواتر به النقل،وأخبر به الصادق المصدوق، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وشوهد

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب (٣٥) غزوة الحديبية، حديث رقم (٤١٧٢) ٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١.

وفي كتاب التفسير، سورة الفتح، باب (١) ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾، حديث رقم (٤٨٣٤) ٨/ ٥٨٣.

والترمذي في كتاب تفسير، سورة الفتح، حديث رقم (٣٢٦٣) ٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

والطبري في تفسيره ٢٦/ ٤٤، والواحدي في أسباب النزول ص ٣٨٣، والبيهقي في الدلائل ٤/ ١٥٨.

في الدنيا من ذلك ما لا يحصيه إلاّ الله، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

والاستغفار والتوبة قد يكونان من ترك الأفضل. فمن نقل إلى حال أفضل مما كان عليه قد يتوب من الحال الأول: لكن الذم والوعيد لا يكون إلاّ على ذنب.

فصــل

[الاعتراف بالخطيئة مع التوحيد، إن كان متضمناً للتوبة أوجب المغفرة]

وأما قول السائل: هل الاعتراف بالخطيئة بمجرده مع التوحيد موجب لغفرانها وكشف الكربة الصادرة عنها؛ أم يحتاج إلى شيء آخر؟

فجوابه: أن الموجب للغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها؛ فإنّ الشرك لا يغفره الله إلاّ بتوبة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من القرآن، وما دون الشرك فهو مع التوبة مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فهذا في حق التائبين، ولهذا عَمَّمَ وأطلق، وحتم أنه يغفر الذنوب جميعاً، وقال في تلك الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فخصّ ما دون الشرك، وعلّقه بالمشيئة، فإذا كان الشرك لا يغفر إلاّ بتوبة؛ وأما ما دونه فيغفره الله للتائب؛ وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء.

فالإعتراف بالخطيئة مع التوحيد إنْ كان متضمّناً للتوبة أوجب المغفرة؛ وإذا غفر الذنب زالت عقوبته؛ فإنّ المغفرة هي وقاية شر الذنب.

ومن الناس مَنْ يقول: الغفر: الستر، ويقول: إنّما سمّي المغفرة

والغفّار لما فيه من معنى الستر، وتفسير اسم الله: الغفار: بأنّه الستّار، **وهذا تقصير في معنى الغفر؛ فإنّ المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فَمَنْ غفر ذنبه لم يعاقب عليه.** وأمّا مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومَنْ عوقب على الذنب باطناً أو ظاهراً فلم يغفر له، وإنّما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب.

وأما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سبباً في حقّه لزيادة أجره فهذا لا ينافي المغفرة.

وكذلك إذا كان من تمام التوبة أن يأتي بحسنات يفعلها، فإنّ مَنْ يشترط في التوبة من تمام التوبة؛ وقد يظنّ الظانّ أنّه تائب ولا يكون تائباً بل يكون تاركاً، والتارك غير التائب، فإنه قد يعرض عن الذنب لعدم خطوره بباله أو المقتضي لعجزه عنه، أو تنتفي إرادته له بسبب غير ديني، **وهذا ليس بتوبة، بل لا بد من أن يعتقد أنه سيئة ويكره فعله لنهي الله عنه وَيَدَعَهُ لله تعالى؛ لا لرغبة مخلوق ولا لرهبة مخلوق؛ فإنّ التوبة من أعظم الحسنات؛** والحسنات كلّها يشترط فيها الإخلاص لله وموافقة أمره، كما قال الفضيل بن عياض[2] في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصه

---

(١) قال في المفردات ص ٣٦٢: «الغفران والمغفرة: هو أنّ يصون العبد من أن يمسه العذاب» اهـ. وانظر (ستر) ص ٢٢٣ فيه، وفي لسان العرب ٥/ ٢٥: «الغفور والغفار: معناهما: الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم... والغفر والمغفرة: التغطية على الذنوب والعفو عنها»، اهـ وانظر باب ستر ٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤. وانظر عمدة الحفاظ ٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ باب غفر، و٢/ ١٩٦ باب ستر، ومعجم مقاييس اللغة ٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ باب غفر، و٣/ ١٣٢ باب ستر، وانظر الفروق لابن القيم ص ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) هو الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله.

ولد بسمرقند، ونشأ بأبيورد، وارتحل في طلب العلم. انظر في ترجمة سير أعلام ٨/ ٤٢١ ـ ٤٤٢، وتهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧.

وأصوبه، قالوا: يا أبا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[1].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[2].

وبسط الكلام في التوبة له موضع آخر[3].

وأما الاعتراف بالذنب على وجه الخضوع لله من غير إقلاع عنه فهذا في نفس الاستغفار المجرد الذي لا توبة معه، وهو كالذي يسأل الله تعالى أن يغفر له الذنب مع كونه لم يتب منه، وهذا يأس من رحمة الله. ولا يقطع بالمغفرة له فإنّه داع دعوة مجردة. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما مِنّ داع يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاّ كان بين إحدى ثلاث إمّا أن يعجل له دعوته.**

وإما أن يدخر له من الجزاء مثلها.

وإمّا أن يصرف عنه من الشرّ مثلها».

قالوا: يا رسول الله: إذاً نكثر.

قال: «**الله أكثر**»[4].

---

(١) انظر قوله في تفسير البغوي ٤/ ٣٦٩.

(٢) رواه أحمد في الزهد، حديث رقم (٦١٥) ص ١٧٤ عن الحسن، عن عمر: والحسن لم يدرك عمراً.

(٣) انظر رسالة «التوبة» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٩٦٤٩ ـ ١٩٦٥٠) ١٠/ ٤٤٣.
والطبراني في الدعاء، حديث رقم (٣٨) ٢/ ٨٠٢ من طريق معمر، عن أبان، =

فمثل هذا الدعاء قد تحصل معه المغفرة، وإذا لم تحصل، فلا بد أن يحصل معه صرف شر آخر أو حصول خير آخر، فهو نافع كما ينفع كل دعاء.

وقول مَنْ قال من العلماء[1]: الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين، فهذا إذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة أو يدعي أنّ استغفاره توبة، وأنّه تائب بهذا الاستغفار فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون تائباً[2]، فإنّ التوبة والإصرار ضدان: الإصرار يضادّ التوبة، لكن لا يضادّ الاستغفار بدون التوبة.

= عن أنس به. وسنده ضعيف جداً بهذا السند، فيه: أبان ـ وهو: ابن أبي عياش ـ: قال الفلاس: متروك الحديث.

وقال البخاري: كان شعبة سيء الرأي فيه. وقال أحمد بن حنبل: متروك الحديث، ترك الناس حديثه منذ دهر. انظر تهذيب التهذيب ١/٩٨ ـ ١٠١، والتقريب ١/ ٣١، ولكن له طريق أخرى وشواهد:

ولكن رواه المقدسي في الترغيب في الدعاء، حديث رقم (٢١) بتحقيقنا من طريق جعفر الأحمر، عن بيان، عن أنس.

وسنده حسن إن كان ما في الدعاء: «بيان» صحيحاً، ولأجل جعفر الأحمر: صدوق، يتشيّع. انظر التقريب ١/ ١٣٠، وتهذيب التهذيب ٢/ ٩٢ ـ ٩٣، وتهذيب الكمال ١/ ١٩٥. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وسنده حسن. انظر تخريجه في الترغيب في الدعاء رقم (٢٢) بتحقيقي.

(١) القائل هو الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى فإنه قال: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين. انظر فتح الباري ١١/٩٩، ومجموع الفتاوى ١١/ ٦٩٩، ورسالتي: «تحفة الابرار بشرح حديث الاستغفار»، و«الاستغفار» لابن تيمية بتحقيقنا.

(٢) أما حديث: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»، فقد رواه أبو الشيخ، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٧٩١٤) ٥/ ٢٨٧، والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٨٥٣) ٢/ ٤٤ ـ ٤٥.

والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٧٢٦٨) ٥/ ٤٥٦ وفي سنده: أبو شيبة الخراساني: قال الذهبي: أتى بخبر منكر، انظر الميزان ٤/ ٥٣٧. وانظر فيض القدير ٦/ ٤٣٦، والشذرة في الأحاديث المشتهرة ٢/ ٢٥٣، والمقاصد الحسنة ص ٤٩٧، والدرر المنتثرة ص ٢٥٥، والغماز ص ٢٣٩.

فصل
[التوبة تصح من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر]

وقول القائل: هل الاعتراف بالذنب المعين يوجب دفع ما حصل بذنوب متعددة أم لا بد من استحضار جميع الذنوب؟.

فجواب هذا مبني على أصول:

[الأصل الأول]

أحدهما: أنّ التوبة تصحّ مِنْ ذنب مع الإصرار على ذنب آخر، إذا كان المقتضى للتوبة من أحدهما أقوى من المقتضي للتوبة من الآخر، أو كان المانع من أحدهما أشدّ، وهذا هو القول المعروف عند السلف والخلف.

وذهب طائفة من أهل الكلام كأبي هاشم[(١)] إلى أنّ التوبة لا تصح من قبيح مع الإصرار على الآخر[(٢)]، قالوا: لأنّ الباعث على التوبة إنّ لم يكن من

(١) هو أبو هاشم، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من شيوخ المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة.
من مؤلفاته: الاجتهاد، والإنسان، والجامع الكبير. انظر تاريخ بغداد ١١/ ٥٥ ـ ٥٦، ولسان الميزان ٤/ ١٦، والملل والنحل ١/ ١٥٠، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٣٥.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧.

خشية الله لم يكن توبة صحيحة، والخشية مانعة من جميع الذنوب لا من بعضها، وحكى القاضي أبو يعلى وابن عقيل هذا رواية عن أحمد؛ لأنّ المروذي نقل عنه أنه سئل عمن تاب من الفاحشة وقال: لو مرضت لم أعد لكن لا يدع النظر.

فقال أحمد: أي توبة ذه؟!: قال جرير بن عبد الله: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن نظرة الفجأة؟.

فقال: «**اصرف بصرك**»[1].

والمعروف عن أحمد وسائر الأئمة هو القول بصحة التوبة، وأحمد في هذه المسألة إنما أراد: أنّ هذه ليست توبة عامة يحصل بسببها من التائبين توبة مطلقاً، لم يرد أنّ ذنب هذا كذنب المصرّ على الكبائر، فإنّ نصوصه المتواترة عنه وأقواله الثابتة تنافي ذلك، وحَمْل كلام الإمام على ما يصدّق بعضه بعضاً أولى من حَمْله على التناقض، لا سيما إذا كان القول الآخر مبتدعاً لم يعرف عن أحد من السلف، وأحمد يقول: **إياك أنْ تتكلم في مسألة**

(١) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب (١٠) نظر الفجأة، حديث رقم (٢١٥٩) ٣/ ١٦٩٩.

وأبو داود في كتاب النكاح، باب (٤٣) ما يؤمر به من غض البصر، حديث رقم (٢١٤٨) ٢/ ٢٤٦، والترمذي في كتاب الأدب، باب (٢٨) ما جاء في نظر المفاجأة، حديث رقم (٢٧٧٦) ٥/ ١٠١، والنسائي في كتاب عشرة النساء من سننه الكبرى، باب (١٠٢) نظر الفجأة، حديث رقم (٩٢٣٣) ٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١، والدارمي في كتاب الإستئذان، باب (١٥) في نظر الفجأة، حديث رقم (٢٦٤٣) ٢/ ٣٦١. وأحمد ٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦١، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٦٧٢) ص ٩٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٦، والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٢٤٠٣ ـ إلى ـ ٢٤٠٨) ٢/ ٣٣٧، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٥٥٧١) ١٢/ ٣٨٣، والطحاوي في شرح المعاني ٣/ ١٥، وتمام في الفوائد، حديث رقم (٧٣٩) ٢/ ٣٧٢، والبيهقي في سننه ٧/ ٨٩ ـ ٩٠، وفي الآداب، حديث رقم (٨٨٧) ص ٤٠٥.

ليس لك فيها إمام، وكان في المحنة يقول: كيف أقول ما لم يُقَلْ؟! واتباع أحمد للسنة والآثار وقوة رغبته في ذلك، وكراهته لخلافه من الأمور المتواترة عنه يعرفها مَنْ يعرف حاله من الخاصة والعامة.

وما ذكروه من أنّ الخشية توجب العموم.

فجوابه: أنه قد يعلم قبح أحد الذنبين دون الآخر، وإنما يتوب مما يعلم قبحه.

وأيضاً: فقد يعلم قبحها ولكن هواه يغلبه في أحدهما دون الآخر، فيتوب من هذا دون ذاك، كمن أدّى بعض الواجبات دون بعض؛ فإنّ ذلك يقبل منه.

ولكن المعتزلة لهم أصل فاسد وافقوا فيه الخوارج في الحكم وإنْ خالفوهم في الاسم، فقالوا: إنّ أصحاب الكبائر يخلّدون في النار ولا يخرجون منها بشفاعة ولا غيرها.

وعندهم يمتنع أن يكون الرجل الواحد ممن يعاقبه الله ثم يثيبه؛ ولهذا يقولون: بحبوط جميع الحسنات بالكبيرة[1].

وأما الصحابة وأهل السنة والجماعة فعلى أنّ أهل الكبائر يخرجون من النار ويشفع فيهم، وأنّ الكبيرة الواحدة لا تحبط جميع الحسنات ولكن قد يحبط ما يقابلها عند أكثر أهل السنة، ولا يحبط جميع الحسنات إلاّ الكفر، كما لا يحبط السيئات إلاّ التوبة، فصاحب الكبيرة إذا أتى بحسنات يبتغي بها رضا الله أثابه الله على ذلك، وإن كان مستحقاً للعقوبة على كبيرته.

وكتاب الله عزّ وجّل يفرّق بين حكم السارق والزاني وقتال المؤمنين

---

(١) انظر كتاب مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة لليافعي.

بعضهم بعضاً، وبين حكم الكفار في «الأسماء، والأحكام». والسنة المتواترة عن النبي ﷺ وإجماع الصحابة يدلّ على ذلك، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع.

وعلى هذا تنازع الناس في قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧] فعلى قول الخوارج والمعتزلة: لا تقبل حسنة إلاّ ممن اتقاه مطلقاً فلم يأت كبيرة.

وعند المرجئة إنما يتقبل ممن اتقى الشرك، فجعلوا أهل الكبائر داخلين في اسم «المتقين».

وعند أهل السنة والجماعة يتقبّل العمل ممن اتقى الله فيه فعمله خالصاً لله موافقاً لأمر الله، فمن اتقاه في عمل تقبّله منه، وإن كان عاصياً في غيره. ومَنْ لم يَتَّقه لم يتقبّله منه وإن كان مطيعاً في غيره.

والتوبة من بعض الذنوب دون بعض كفعل بعض الحسنات المأمور بها دون بعض إذا لم يكن المتروك شرطاً في صحة المفعول كالإيمان المشروط في غيره من الأعمال، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩] وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].

[الأصل الثاني]

الأصل الثاني: أنّ مَنْ له ذنوب فتاب من بعضها دون بعض، فإنّ التوبة إنما تقتضي مغفرة ما تاب منه، أما ما لم يتب منه فهو باق فيه على حكم مَنْ

لم يتب، لا على حكم مَنْ تاب، وما علمت في هذا نزاعاً إلاّ في الكافر إذا أسلم، فإنّ إسلامه يتضمّن التوبة من الكفر فيغفر له بالإسلام الكفر الذي تاب منه، وهل تغفر له الذنوب التي فعلها في حال الكفر ولم يتب منها في الإسلام؟ هذا فيه قولان معروفان.

أحدهما: يغفر له الجميع، **لإطلاق** قوله ﷺ: «**الإسلام يهدم ما كان قبله**»[1] رواه مسلم. مع قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ**﴾ [الأنفال: ٣٨].

والقول الثاني: **أنه** لا يستحق أن يغفر له بالإسلام إلاّ ما تاب منه؛ فإذا أسلم وهو مصر على كبائر دون الكفر فحكمه في ذلك حكم أمثاله من أهل الكبائر، **وهذا القول هو الذي تدلّ عليه الأصول والنصوص**؛ فإنّ في الصحيحين أنّ النبي ﷺ: قال له حكيم بن حزام: يا رسول الله! أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟

فقال: «**مَنْ أحسن منكم في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومَنْ أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**»[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب (٥٤) كون الإسلام يهدم ما قبله. . ، حديث رقم (١٢١) ١/ ١١٢ ـ ١١٣، وأحمد في المسند ٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٣٩٨) ١/ ١٥٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب (١) إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، حديث رقم (٦٩٢١) ١٢/ ٢٦٥، ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٥٣) هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية، حديث رقم (١٢٠) ١/ ١١١، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٢٩) ذكر الذنوب، حديث رقم (٤٢٤٢) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ ٤٠٩ ـ ٤٢٩ ـ ٤٣١ ـ ٤٦٢.

والدرامي في المقدمة من سننه، باب (١) ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي ﷺ من الجهل والضلالة، حديث رقم (١) ١/ ١٣ بتحقيقنا. =

فقد دلّ هذا النص على أنه إنما ترفع المؤاخذة بالأعمال التي فعلت في حال الجاهلية عمن أحسن لا عمن لا يحسن؛ وإن لم يحسن أخذ بالأول والآخر، ومَنْ لم يتب منها فلم يحسن(1).

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] يدلّ على أنّ المنتهي عن شيء يغفر له ما قد سلف منه، لا يدلّ على أنّ المنتهي عن شيء يغفر له ما سلف من غيره؛ وذلك لأنّ قول

= وعبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (١٩٦٨٦) ١٠/ ٤٥٤، والطيالسي في حديث رقم (٢٦١) ص ٣٤، والحميدي في مسنده، حديث رقم (١٠٨) ١/ ٦٠ ـ ٦١ وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٠٧١) ٩/ ٦، وحديث رقم (٥١١٣) ٩/ ٥٠، وحديث رقم (٥١٣١) ٩/ ٦٥، وأبو عوانة في مسنده ١/ ٧١، ووكيع في الزهد، حديث رقم (٩٦) ١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٣٨٢ ـ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) ١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٩.

وأبو نعيم في الحلية ٧/ ١٢٥، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٣٩٦) ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٤٣) ١/ ٥٧، وفي سننه ٩/ ١٢٣، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٨) ١/ ٥٨.

(1) قال الخطابي: ظاهر الحديث خلاف ما أجمعت عليه الأمة: أنّ الإسلام يجبّ ما قبله، وقال تعالى: **﴿قل للذين كفروا يغفر لهم ما قد سلف﴾**.

قال ووجه الحديث: أنّ الكافر إذا أسلم لم يؤاخذ بما مضى، فإن أساء في الإسلام غاية الإساءة وركب أشد المعاصي، وهو مستمر على الإسلام، فإنه إنما يؤاخذ بما جناه من المعصية في الإسلام ويبكت بما كان فيه في الكفر، كأن يقال له: ألست فعلت كذا وكذا وأنت كافر، فهلاّ منعك إسلامك عن معاودة مثله؟ انتهى ملخصاً وحاصله أنه أوّل المؤاخذة في الأول بالتبكيت وفي الآخر بالعقوبة.

والأولى قول غيره: إنّ المراد بالإساءة: الكفر؛ لأنه غاية الإساءة وأشدّ المعاصي، فإذا ارتد ومات على كفره كان كمن لم يسلم فيعاقب على جميع ما قدّمه، وإلى ذلك أشار البخاري بإيراد هذا الحديث بعد حديث: «**أكبر الكبائر الشرك**» وأورد كلا في أبواب المرتدين. انظر فتح الباري ١٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، وقال ـ أيضاً ـ: وجدت في كتاب السنة لعبد العزيز بن جعفر وهو من رؤوس الحنابلة ما يدفع دعوى الخطابي وابن بطال الإجماع الذي نقلاه.

القائل لغيره: إن انتهيت غفرت لك ما تقدم، ونحو ذلك يفهم منه عند الإطلاق: أنك إن انتهيت عن هذا الأمر، غفر لك ما تقدم منه، وإذا انتهيت عن شيء غفر لك ما تقدم منه، كما يفهم مثل ذلك في قوله: «إن تبت»، لا يفهم منه أنك بالانتهاء عن ذنب يغفر لك ما تقدم من غيره.

وأما قول النبي ﷺ: «**الإسلام يهدم ما قبله**»[1]، وفي رواية «**يجب ما كان قبله**»[2] فهذا قاله لما أسلم عمرو بن العاص وطلب أن يغفر له ما تقدم من ذنبه فقال له: «**يا عمرو أما علمت أنّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنّ التوبة تهدم ما كان قبلها، وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها**»[3] ومعلوم أنّ التوبة إنما توجب مغفرة ما تاب منه، لا توجب التوبة غفران جميع الذنوب.

[الأصل الثالث]

الأصل الثالث: أنّ الإنسان قد يستحضر ذنوباً فيتوب منها، وقد يتوب توبة مطلقة لا يستحضر معها ذنوبه، لكن إذا كانت نيته التوبة العامة فهي تتناول كلّ ما يراه ذنباً؛ لأنّ التوبة العامّة تتضمّن عزماً عاماً بفعل المأمور وترك المحظور، وكذلك تتضمّن ندماً عاماً على كلّ محظور.

والندم: سواء قيل: إنه من باب الاعتقادات، أو من باب الإرادات، أو قيل: إنه من باب الآلام التي تلحق النفس بسبب فعل ما يضرّها؛ فإذا استشعر القلب أنه فعل ما يضرّه، حصل له معرفة بأن الذي فعله كان من السيئات، وهذا من باب الاعتقادات، وكراهية لما كان فعله، وهو من جنس الإرادات؛ وحصل له أذى وغم لما كان فعله؛ وهذا من باب الآلام، كالغموم

---

(١) سبق تخريجه قريباً.
(٢) سبق تخريجه قريباً.
(٣) سبق تخريجه قريباً.

والأحزان، كما أنّ الفرح والسرور هو من باب اللذات ليس هو من باب الاعتقادات والإرادات.

ومَنْ قال من المتفلسفة ومن اتبعهم: إنّ اللذة هي إدراك الملائم من حيث هو ملائم، وأنّ الألم هو إدراك المنافر من حيث هو منافر، فقد غلط في ذلك؛ فإنّ اللذة والألم حالان يتعقبان إدراك الملائم والمنافر، فإنّ الحب لما يلائمه، كالطعام المشتهى مثلاً له ثلاثة أحوال:

أحدها: الحبّ: كالشهوة للطعام.

والثاني: إدراك المحبوب: كأكل الطعام.

والثالث: اللذة الحاصلة بذلك، واللذة أمر مغاير للشهوة ولذوق المشتهي، بل هي حاصلة لذوق المشتهي؛ ليست نفس ذوق المشتهي.

وكذلك **المكروه**: كالضرب مثلاً؛ فإنّ كراهته شيء، وحصوله شيء آخر، والألم الحاصل به ثالث.

وكذلك ما للعارفين أهل محبة الله من النعيم والسرور بذلك، فإنّ حبّهم لله شيء، ثم ما يحصل من ذكر المحبوب شيء، ثم اللذة الحاصلة بذلك أمر ثالث.

ولا ريب أنّ الحب مشروط بشعور المحبوب، كما أنّ الشهوة مشروطة بشعور المشتهى؛ لكن الشعور المشروط في اللذة غير الشعور المشروط في المحبة، فهذا الثاني يسمى إدراكاً وذوقاً ونيلاً ووجداً ووصالاً، ونحو ذلك مما يعبّر به عن إدراك المحبوب، سواء كان بالباطن أو الظاهر، ثم هذا الذوق يستلزم اللذة، واللذة أمر يحسّه الحي باطناً وظاهراً.

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**ذاق طعم الإيمان: مَنْ**

رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»[1].

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: مَنْ كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما.

ومَـنْ كان يحبّ المرء لا يحبّه إلاّ لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب (١١) الدليل على أنّ من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن، حديث رقم (٣٤) ١/ ٦٢، والترمذي في كتاب الإيمان، باب (١٠)، حديث رقم (٢٦٢٣) ٥/ ١٤، وأحمد في المسند ١/ ٢٠٨، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٦٦٩٢) ١٢/ ٤٨ ـ ٥٠، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (١١٤ ـ ١١٥) ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٦٩٤) ٤/ ٥٩٢، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ١٥٦، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٩٨ ـ ١٩٩) ١/ ٢١٨، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢٤) ١/ ٥١ ـ ٥٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب (٩) حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦) ١/ ٦٠، وباب (١٤) من كره أن يعود في الكفر. .، حديث رقم (٢١) ١/ ٧٢، وفي كتاب الأدب، باب (٤٢) الحب في الله، حديث رقم (٦٠٤١) ١٠/ ٤٦٣، وفي كتاب الإكراه، باب (١) من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، حديث رقم (٦٩٤١) ١٢/ ٣١٥.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (١٥) بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم (٤٣) ١/ ٦٦ ـ ٦٧.

والترمذي في كتاب الإيمان، باب (١٠) حديث رقم (٢٦٢٤) ٥/ ١٥.

والنسائي في كتاب الإيمان، باب (٢) طعم الإيمان، ٨/ ٩٤ ـ ٩٥، وباب (٣) حلاوة الإيمان، ٨/ ٩٦، وباب (٤) حلاوة الإسلام، ٨/ ٩٧، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب (٢٣) الصبر على البلاء، حديث رقم (٤٠٣٣) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ٣/ ١٠٣ ـ ١١٣ ـ ١١٤ ـ ١٧٢ ـ ١٧٤ ـ ٢٣٠ ـ ٢٤٨ ـ ٢٧٥.

والطيالسي في مسنده، حديث رقم (١٩٥٩) ص ٢٦٤، وابن المبارك في =

فبيّن ﷺ أَنّ ذَوْقَ طعم الإيمان لمن رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وأنّ وَجْدَ حلاوة الإيمان حاصل لمن كان حبّه لله ورسوله أشدّ من حبّه لغيرهما، ومَنْ كان يحب شخصاً لله لا لغيره، ومَنْ كان يكره ضد الإيمان، كما يكره أن يلقى في النار؛ فهذا الحبّ للإيمان. والكراهية للكفر استلزم حلاوة الإيمان، كما استلزم الرضى المتقدم ذوق طعم الإيمان، وهذا هو اللذة؛ وليس هو نفس التصديق والمعرفة الحاصلة في القلب، ولا نفس الحب الحاصل في القلب؛ **بل هذا نتيجة ذاك وثمرته ولازم له، وهي أمور متلازمة**، فلا توجد اللذة إلاّ بحب وذوق، وإلاّ فمن أحب شيئاً ولم يذق منه شيئاً لم يجد لذة، كالذي يشتهي الطعام ولم يَـذُقْ منه شيئاً، ولو ذاق ما لا يحبّه لم يجد لذة، كمن ذاق مالا يريده، فإذا اجتمع حبّ الشيء وذوقه حصلت اللذة بعد ذلك.

وإنْ حصل بغضه وذوق البغيض حصل الألم، فالذي يبغض الذنب ولا يفعله لا يندم، والذي لا يبغضه لا يندم على فعله، فإذا فعله وعرف أنّ هذا مما يبغضه ويضرّه ندم على فعله إياه، وفي المسند عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «**الندم توبة**»[(١)].

= الزهد، حديث رقم (٨٢٧) ص ٢٨٥، وابن منده في الإيمان، حديث رقم (٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) ١/ ٤٣١ ٤٣٣.

والطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (٧٢٤) ١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢، وفي المعجم الصغير ١/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (٢٣٧ ـ ٢٣٨) ١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (٢١) ١/ ٤٨ ـ ٤٩.

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب (٣٠) ذكر التوبة، حديث رقم (٤٢٥٢) بتحقيقنا.

وأحمد في المسند ١/ ٣٧٦ ـ ٤٢٢ ـ ٤٢٣، والحميدي في مسنده، حديث رقم (١٠٥) ١/ ٥٨ ـ ٥٩، والطيالسي في مسنده، حديث رقم (٣٨١) ص ٥٠، =

إذا تبيّن هذا، فمن تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب كلّها، وإنْ لم يستحضر أعيان الذنوب إلاّ أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص، مثل أنْ يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه؛ لقوة إرادته إياه أو لاعتقاده أنه حسن ليس بقبيح، فما كان لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأما ما كان لو حضر بعينه لكان مما يتوب منه؛ فإنّ التوبة العامة شاملته.

وأما التوبة المطلقة: وهي أن يتوب توبة مجملة، ولا تستلزم التوبة من كلّ ذنب، فهذه لا توجب دخول كلّ فرد من أفراد الذنوب فيها، ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق؛ لكن هذه تصلح أن تكون سبباً لغفران المعين. كما

= والبخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥، وابن أبي حاتم في العلل ٢/ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٧، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٤٩٦٩) ٨/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، وحديث رقم (٥٠٨١) ٩/ ١٣، وحديث رقم (٥١٢٩) ٩/ ٦٤، والهيثم بن كليب في مسنده، حديث رقم (٢٦٩ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٢.

والطبراني في الصغير ١/ ٣٣، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٤ ـ ١٤٦، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٣، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣١٢، والدارقطني في العلل ٥/ ١٩٠ ـ ١٩١، واللالكائي في أصول الاعتقاد، حديث رقم (١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) ٦/ ١٠٤٩، والطحاوي في شرح المعاني ٤/ ٢٩١، والقضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٣ ـ ١٤) ١/ ٤٢ ـ ٤٣، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ٢٣٨ ـ إلى ـ ٢٥٠، والبيهقي في سننه ١٠/ ١٥٤.

وفي الشعب ٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧، وفي الآداب، حديث رقم (١١٦٤) ص ٥١٥. والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٧١٧٠) ٥/ ٥٧، والبغوي في شرح السنة، حديث رقم (١٣٠٧) ٥/ ٩١ من طريق سفيان، عن عبد الكريم، عن زياد، عن ابن معقل، عن ابن مسعود مرفوعاً.

قلت: وقع في سند هذا الحديث اختلاف كبير، ورجّح الدارقطني في العلل ٥/ ١٩٣ طريق سفيان هذه ومن تابعه. انظر تفصيل ذلك في تخريجنا لسنن ابن ماجه رقم (٤٢٥٢).

تصلح أن تكون سبباً لغفران الجميع؛ بخلاف العامة فإنها مقتضية للغفران العام، كما تناولت الذنوب تناولاً عاماً.

وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلاّ بعض المتصفات بالفاحشة أو مقدماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد، وقد يكون ما تركه من المأمور الذي يجب لله عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضرراً عليه مما فعله من بعض الفواحش، فإنّ ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقاً أعظم نفعاً من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة، كحب الله ورسوله؛ فإنّ هذا أعظم الحسنات الفعلية حتى ثبت في الصحيح أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل يدعى: حماراً، وكان يشرب الخمر، وكان كلما أتي به إلى النبي ﷺ جلده الحد، فلما كثر ذلك منه أتى به مرة فأمر بجلده، فلعنه رجل، فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**»[1].

فنهى عن لعنه مع إصراره على الشرب لكونه يحب الله ورسوله، مع أنه ﷺ لعن في الخمر عشرة: «**لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها**»[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب (٥) ما يكره من لعن شارب الخمر، حديث رقم (٦٧٨٠) ١٢/٧٥، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (١٧٦ ـ ١٧٧) ١/١٦١.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأشربة، باب (٢) العنب يعصر للخمر، حديث رقم (٣٦٧٤) ٣/٣٢٦.

وابن ماجه في كتاب الأشربة، باب (٦) لعنت الخمر على عشرة أوجه، حديث رقم (٣٣٨٠) بتحقيقنا. =

ولكن لعن المطلق لا يسلتزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة له.

وكذلك «التكفير المطلق» و«الوعيد المطلق». ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطاً بثبوت شروط وانتفاء موانع، فلا يلحق التائب من الذنب باتفاق المسلمين، ولا يلحق مَنْ له حسنات تمحو سيئاته، ولا يلحق المشفوع له، والمغفور له؛ فإنّ الذنوب تزول عقوبتها التي هي جهنم بأسباب التوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ـ لكنها من عقوبات الدنيا ـ، وكذلك ما يحصل في البرزخ من الشدة، وكذلك ما يحصل في عرصات القيامة، وتزول ـ أيضاً ـ بدعاء المؤمنين: كالصلاة عليه وشفاعة

= وأحمد في المسند ٢/ ٢٥ ـ ٧١، وابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (٢١٦٢٥) ٤/ ٤١٣، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٥٩١) ٩/ ٤٤١ ـ ٤٤٢، والبيهقي في سننه ٥/ ٣٢٧، و٦/ ١٢، و٨/ ٢٨٧، والديلمي في الفردوس، حديث رقم (٥٥٠١) ٣/ ٥٢١، من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

قلت: سنده حسن، فيه:

أبو طعمة: وثقة ابن عمار الموصلي.

قال الحافظ في التقريب ٢/ ٤٤٠: «مقبول» ا هـ.

وقال الذهبي في الكاشف ٣/ ٣٠٩: «ثقة» ا هـ. وتابعه عبدُ الرحمن الغافقي: مقبول، كما في التقريب ١/ ٤٨٨.

وقال ابن معين والدارمي: لا أعرفه. انظر التهذيب ٦/ ٢١٧ ـ ٢١٨ فيرتقي بهذه المتابعة لدرجة الحسن لغيره، والله تعالى أعلم بالصواب.

وله طرق أخرى:

ـ فقد رواه من طريق عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه:

أحمد في المسند ٢/ ٩٧، وأبو يعلى في مسنده، حديث رقم (٥٢٨٣) ٩/ ٤٣١ ـ ٤٣٢، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١ ـ ٣٢، والطبراني في المعجم الصغير ١/ ٢٦٦ وفي سنده: سعيد بن عبد الرحمن: لم يوثقه غير ابن حبان: وفي الباب عن ابن عباس، وأنس. انظر تخريجنا لسنن ابن ماجه (٣٣٨٠ ـ ٣٣٨١).

الشفيع المطاع، كمن يشفع فيه سيد الشفعاء محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً.

وحينئذٍ فأي ذنب تاب منه ارتفع موجبه، وما لم يتب منه فله حكم الذنوب التي لم يتب منها، فالشّدة إذا حصلت بذنوب وتاب من بعضها خفّف منه بقدر ما تاب منه، بخلاف ما لم يتب منه؛ بخلاف صاحب التوبة العامة.

والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك؛ فإنّ التوبة واجبة على كلّ عبد في كلّ حال؛ لأنه دائماً يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدى فيه من فعل محظور، فعليه أن يتوب دائماً. والله أعلم.

فصـل
[الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق]

وأما قول السائل: ما السبب في أنّ الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق؟

وما الحيلة في صرف القلب عن التعلّق بهم وتعلّقه بالله؟

فيقال: سبب هذا تحقيق التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلاّ الله، فلا يستقلّ شيء سواه بإحدات أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فكلّ ما سواه إذا قدّر سبباً فلا بد له من شريك معاون وضدّ معوق، فإذا طلب مما سواه إحداث أمر من الأمور طلب منه ما لا يستقلّ به ولا يقدر وحده عليه، حتى ما يطلب من العبد من الأفعال الاختيارية لا يفعلها إلاّ بإعانة الله له، كأن يجعله فاعلاً لها بما يخلقه فيه من الإرادة الجازمة ويخلقه له من القدرة التامة، وعند وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة يجب وجود المقدور.

فمشيئة الله وحده مستلزمة لكلّ ما يريده، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما سواه لا تستلزم إرادته شيئاً؛ بل ما أراده لا يكون إلاّ بأمور خارجة عن مقدوره إن لم يعنه الرب بها لم يحصل مراده، ونفس إرادته لا تحصل إلاّ بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا

﴿تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٩ ـ ٣١]، وقال: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٥٥ ـ ٥٦].

والراجي لمخلوق طالب بقلبه لما يريده من ذلك المخلوق وذلك المخلوق عاجز عنه، ثم هذا من الشرك الذي لا يغفره الله، فمن كمال نعمته وإحسانه إلى عباده المؤمنين أن يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتى يصرف قلوبهم إلى التوحيد، ثم إنْ وحّده العبد توحيد الإلهية حصلت له سعادة الدنيا والآخرة.

وإن كان ممن قيل فيه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢]. وفي قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧]، كان ما حصل له من وحدانيته حجة عليه.

كما احتج سبحانه على المشركين الذين يقرّون بأنه خالق كلّ شيء، ثم يشركون ولا يعبدونه وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١] وهذا قد ذُكر في القرآن في غير موضع.

فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدّة والضرّ وما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً

سواه، وتتعلّق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكّل عليه والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان وذوق طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف، أو الجدب، أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة، فإنّ ذلك لذات بدنية ونعم دنيوية قد يحصل للكافر منها أعظم مما يحصل للمؤمن.

وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يعبّر عن كنهه مقال، أو يستحضر تفصيله بال. ولكلّ مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، ولهذا قال بعض السلف: يا ابن آدمْ! لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها من قرع باب سيدك.

وقال بعض الشيوخ: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحبّ معه أن يعجل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك، لأنّ النفس لا تريد إلاّ حظّها، فإذا قضي انصرفت.

وفي بعض الإسرائيليات: يا ابن آدم! البلاء يجمع بيني وبينك، والعافية تجمع بينك وبين نفسك.

وهذا المعنى كثير، وهو موجود مذوق محسوس بالحس الباطن للمؤمن، وما من مؤمن إلاّ وقد وجد من ذلك ما يعرف به ما ذكرناه، فإنّ ذلك من باب الذوق والحس لا يعرفه إلاّ مَنْ كان له ذوق وحس بذلك.

ولفظ: **الذوق** وإن كان قد يظنّ أنّه في الأصل مختصّ بذَوْق اللسان، فاستعماله في الكتاب والسنة يدلّ على أنه أعمّ من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر، **كما أنّ لفظ**: **الإحساس**: في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس، بل وبالباطن.

وأما في اللغة فأصله الرؤية، كما قال: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨].

والمقصود لفظ الذوق: قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] فجعل الخوف والجوع مذوقاً؛ وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه لبس الجائع والخائف فشمله وأحاط به إحاطة اللباس باللابس؛ بخلاف مَنْ كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾[1] [الصافات: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨] وقال: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٤ ـ ٢٥] وقال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١].
وقد قال النبي ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان مَنْ رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً**»[2].

فاستعمال لفظ الذوق، في إدراك الملائم والمنافر كثير. وقال النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**»[3]. كما تقدم ذكر الحديث. فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه مَنْ حصل له هذا الوجد.

وهذا الذوق، أصحابه فيه يتفاوتون، فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين، لا يحبّون شيئاً إلاّ له، ولا يتوكّلون إلاّ عليه، ولا يوالون إلاّ فيه، ولا يعادون إلاّ له، ولا يسألون إلاّ إياه، ولا يرجون إلاّ إياه، ولا يخافون إلاّ إياه، يعبدونه ويستعينون له وبه، بحيث يكونون عند الحق

---

(١) في المطبوعة: (فذوقوا العذاب الأليم).
(٢) سبق تخريجه قريباً.
(٣) سبق تخريجه قريباً.

بلا خلق، وعند الخلق بلا هوى ؛ قد فنيت عنهم إرادة ما سواه بإرادته، ومحبة ما سواه بمحبته، وخوف ما سواه بخوفه، ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، هو به أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلاّ مَنْ له نصيب، وما من مؤمن إلاّ له منه نصيب.

وهذا هو حقيقة الإسلام الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه.

والله سبحانه أعلم

خاتمة التحقيق

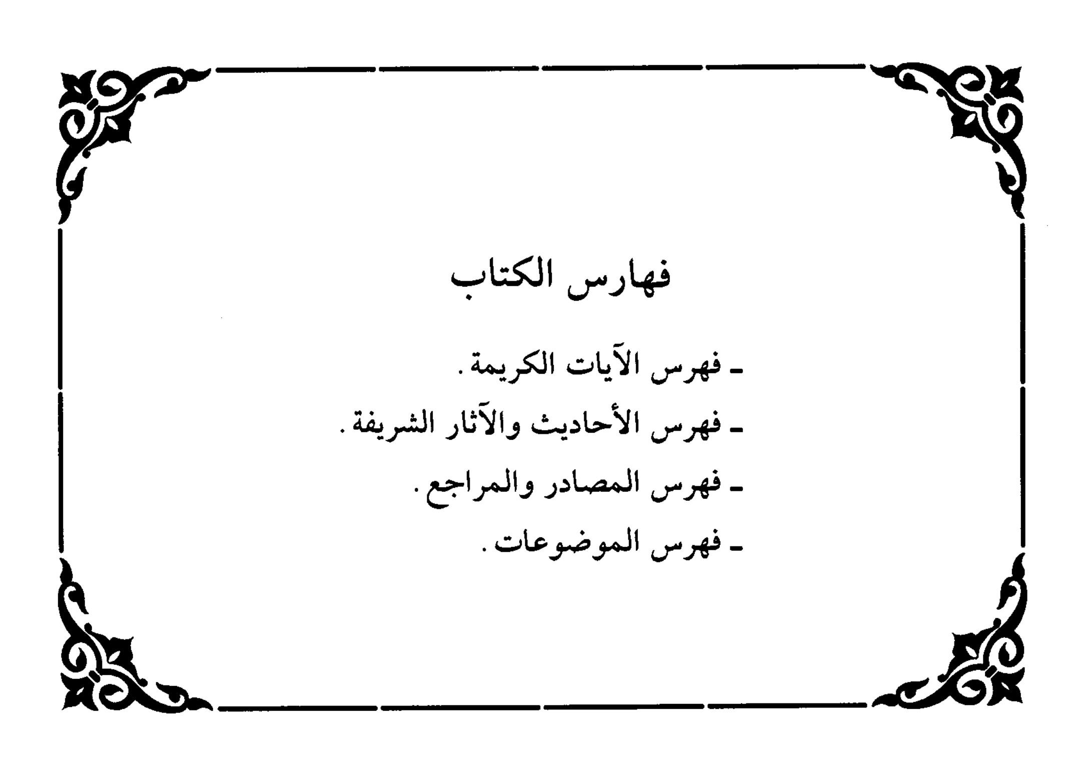
ختم اللّٰهُ لنا بخاتمة الحسنى

يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الكريم وعفوه ورضوانه ـ أبو عبد الرحمن فوّاز أحمد زمرلي ـ جعله الله من الفائزين في الدنيا والآخرة:

انتهيت من التعليق على هذه الرسالة المباركة بقدر الطاقة مساء يوم الأحد في ١٤ شعبان سنة ١٤١٥ هجرية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وكتبه
راجي عفو ربه
أبو عبد الرحمٰن
فوّاز أحمد زمرلي



فهارس الكتاب

- فهرس الآيات الكريمة .
- فهرس الأحاديث والآثار الشريفة .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الآداب، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢ ـ الأباطيل والمناكير، للجوزقاني، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ ـ دار الصميعي ـ الرياض.

٣ ـ الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، لابن بطة، تحقيق رضا معطي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار الراية ـ الرياض.

٤ ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٦ ـ الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ـ دار البشائر ـ بيروت.

٧ ـ أربعون حديثاً، للبكري، تحقيق محمد محفوظ، الطبعة الثانية ١٩٨١ م ـ دار الغرب ـ بيروت.

٨ ـ الأربعون الصغرى، للبيهقي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩ ـ الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي، تحقيق محمد إدريس، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.

١٠ ـ أسباب النزول، للواحدي، تحقيق عصام الحميدان، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ مؤسسة الريان ـ بيروت.

١١ ـ الاستغفار، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت.
١٢ ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٣ ـ الإشراف على مذاهب أهل العلم، لابن المنذر، تحقيق محمد نجيب سراج الدين، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الثقافة ـ قطر.
١٤ ـ أصول السنة، لابن أبي زمنين، تحقيق عبد الله البخاري، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة.
١٥ ـ الاعتقاد، للبيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت
١٦ ـ الإقناع، لابن المنذر، تحقيق عبد الله الجبرين، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة الرشد ـ الرياض.
١٧ ـ الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي. ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٨ ـ الأمالي، للشجري، ـ عالم الكتب ـ بيروت.
١٩ ـ الأنوار في شمائل المختار، للبغوي، تحقيق إبراهيم اليعقوبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار الضياء ـ بيروت.
٢٠ ـ الأولياء، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد السعيد زغلول، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.
٢١ ـ الإيمان، لابن تيمية.
٢٢ ـ الإيمان، لابن أبي شيبة، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٢٣ ـ الإيمان، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٢٤ ـ بحر العلوم، للسمرقندي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، وزكريا النوتي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٥ ـ البحر المحيط، للزركشي، تحقيق جماعة بإشراف عمر الأشقر، نشر وزارة الشؤون الإسلامية ـ الكويت.
٢٦ ـ بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، ـ المكتبة العلمية ـ بيروت.
٢٧ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢٨ ـ التاريخ الصغير، للبخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٢٩ ـ التاريخ الكبير، للإمام البخاري، ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٠ ـ التبيين الأسماء المدلسين، لسبط ابن العجمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، (مخطوط يسّر الله طبعه).
٣١ ـ تحفة الأبرار بشرح حديث سيد الاستغفار، تأليف أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ مؤسسة الريان ـ بيروت.
٣٢ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للحافظ المزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٣٣ ـ التخويف من النار، للحافظ ابن رجب، ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٤ ـ الترغيب في الدعاء، للمقدسي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت.
٣٥ ـ تعريف أهل التقديس، للحافظ ابن حجر، تحقيق عبد الغفار البنداري ومحمود عبد العزيز، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٣٦ ـ تعظيم قدر الصلاة، لابن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ مكتبة الدار ـ بالمدينة المنورة.
٣٧ ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٣٨ ـ تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٣٩ ـ تقوى الله في الصوم، تأليف فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار البشائر ـ بيروت.
٤٠ ـ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. للحافظ ابن حجر، دار المعرفة ـ بيروت.
٤١ ـ تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، لأبي الحسن السبتي، تحقيق محمد الداية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت.
٤٢ ـ تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٣ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ ـ دائرة المعارف ـ بالهند.

٤٤ ـ تهذيب الكمال، للحافظ المزي، ـ دار المأمون ـ دمشق.
٤٥ ـ التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٦ ـ التوبة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ـ مؤسسة الريان ودار ابن حزم ـ بيروت.
٤٧ ـ التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق محمد هراس، طبعة سنة ١٣٩٨ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٨ ـ التوحيد، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ نشر الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة.
٤٩ ـ جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٥٠ ـ الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٥١ ـ حاشية الصاوي، لأحمد الصاوي، ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٥٢ ـ الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق محمد بن ربيع، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ دار الراية ـ الرياض.
٥٣ ـ حسن الظن بالله، لابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة.
٥٤ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.
٥٥ ـ خلق أفعال العباد، للبخاري، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ الدار السلفية ـ الكويت.
٥٦ ـ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٥٧ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٥٨ ـ الدعاء، للطبراني، تحقيق محمد البخاري، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.
٥٩ ـ الدعاء، للمحاملي، تحقيق سعيد القزقي، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م ـ دار الغرب ـ بيروت.

٦٠ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦١ ـ الرد على الجهمية، للدارمي، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ الدار السلفية ـ الكويت.
٦٢ ـ روح المعاني، للآلوسي، طبعة سنة ١٤٠٨ هـ، ـ دار الفكر ـ بيروت.
٦٣ ـ الروض البسام بترتيب فوائد تمام، ترتيب جاسم الدوسري، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.
٦٤ ـ زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٦٥ ـ زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر أرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ومكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت.
٦٦ ـ الزهد، لابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٦٧ ـ الزهد، لهناد بن السري، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الخلفاء ـ الكويت.
٦٨ ـ الزهد، لوكيع، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ مكتبة الدار ـ المدينة المنورة.
٦٩ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ودار المعارف ـ الرياض.
٧٠ ـ السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٥ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٧١ ـ السنة، لعبد الله، تحقيق محمد القحطاني، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ـ رمادي للنشر، والمؤتمن للتوزيع ـ المملكة العربية السعودية.
٧٢ ـ سنن البيهقي، الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
٧٣ ـ سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وجماعة، ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٧٤ ـ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧٥ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ـ دار الفكر ـ بيروت.
٧٦ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٧٧ ـ سنن النسائي (الكبرى)، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٨ ـ سنن النسائي (المجتبى)، ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٧٩ ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق جماعة بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثامنة ١٤١٢ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٨٠ ـ شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق.
٨١ ـ شذرات الذهب، لابن العماد، ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٨٢ ـ الشذرة في الأحاديث المشتهرة، لابن طولون، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨٣ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للإمام اللالكائي، تحقيق أحمد حمدان، الطبعة الثانية ـ دار طيبة ـ الرياض.
٨٤ ـ شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٨٥ ـ الشرح الكبير، لابن قدامة، ـ دار الفكر ـ بيروت.
٨٦ ـ شرح معاني الآثار، للطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ دار الكتب ـ بيروت.
٨٧ ـ الشريعة، للآجري، تحقيق محمد الفقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨٨ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد زغلول، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٨٩ ـ الشكر، لأبي أبي الدنيا، تحقيق ياسين السواس، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ دار ابن كثير ـ دمشق.
٩٠ ـ الشمائل المصطفوية، للترمذي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٩١ ـ صحيح البخاري (انظر فتح الباري).
٩٢ ـ صحيح ابن حبان (انظر الإحسان).
٩٣ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٩٤ ـ الضعفاء الكبير، للعقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٥ ـ الطبقات الكبرى ـ لابن سعد، ـ دار صادر ـ بيروت.
٩٦ ـ العدة للكرب والشدة، للمقدسي، تحقيق ياسر إبراهيم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ـ دار المشكاة ـ القاهرة.
٩٧ ـ عصمة الأنبياء للرازي، ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٨ ـ العلل الواردة في الأحاديث، للدارقطني، تحقيق محفوظ السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ دار طيبة ـ الرياض.
٩٩ ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، تحقيق محمد التونجي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ـ عالم الكتب ـ بيروت.
١٠٠ ـ عمل اليوم والليلة، لابن السني، تحقيق سالم السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ مؤسسة ـ الكتب الثقافية ـ بيروت.
١٠١ ـ عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق فاروق حمادة، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٠٢ ـ غريب الحديث، للقاسم بن سلام، ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٠٣ ـ الغماز على اللماز، للسمهودي، تحقيق محمد عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٤ ـ غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود، لأبي إسحاق الحويني، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٠٥ ـ فتح الباري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة.
١٠٦ ـ الفرج بعد الشدة، لابن أبي الدنيا، ـ دار المشرق ـ القاهرة.
١٠٧ ـ الفردوس، للديلمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي ومحمد البغدادي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٠٨ ـ فضائل القرآن، للرازي، تحقيق عامر صبري، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ دار البشائر ـ بيروت.

١٠٩ ـ فضائل الدعاء والداعين، لشرف الدين المقدسي، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت.
١١٠ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، الطبعة الثانية ١٣٩١ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١١١ ـ الكاشف، للذهبي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١١٢ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق سهيل زكار ويحيى غزاوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.
١١٣ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١١٤ ـ اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، طبعة سنة ١٤٠٣ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١١٥ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، ـ دار صادر ـ بيروت.
١١٦ ـ لسان العرب، لابن منظور، ـ دار الفكر ـ بيروت.
١١٧ ـ لسان الميزان، لابن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٩ هـ ـ دائرة المعارف ـ الهند.
١١٨ ـ المجروحين، لابن حبان، تحقيق محمود زايد، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١١٩ ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٢٠ ـ مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن القاسم وولده،طبعه سنة ١٣٨١هـ ـ نشر إدارات البحوث العلمية ـ الرياض.
١٢١ ـ المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق عبد السلام الشافي، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٢٢ ـ مختصر قيام الليل، للمقريزي، تحقيق إبراهيم العلي ومحمد أبو صعيليك، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ مكتبة المنار ـ الأردن.
١٢٣ ـ المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمد الأعظمي، ـ دار الخلفاء ـ الكويت.
١٢٤ ـ المراسيل، لابن أبي حاتم، تحقيق شكر الله قوجاني، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٢٥ ـ مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، لليافعي، تحقيق محمود نصار، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٢٦ ـ مساوىء الأخلاق، للخرائطي، تحقيق مصطفى عطا، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.
١٢٧ ـ المستدرك، للحاكم، ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٢٨ ـ مسند أبي بكر، للمروزي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة ١٣١٩، ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٢٩ ـ مسند أحمد، ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٣٠ ـ مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبد الغفور البلوشي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ مكتبة الإيمان ـ المدينة المنورة.
١٣١ ـ مسند البزار (انظر كشف الأستار).
١٣٢ ـ مسند الحميدي، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٣٣ ـ مسند سعد بن أبي وقاص، للدورقي، تحقيق عامر صبري، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار البشائر ـ بيروت.
١٣٤ ـ مسند الشافعي، ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٣٥ ـ مسند الطيالسي، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٣٦ ـ مسند أبي عوانة، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٣٧ ـ مسند الهيثم بن كليب، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة.
١٣٨ ـ مسند أبي يعلى، تحقيق حسين أسد، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق.
١٣٩ ـ المصنف، لابن أبي شيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ دار التاج ـ بيروت.
١٤٠ ـ المصنف، لعبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
١٤١ ـ معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق خالد العك ومروان سوار، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٤٢ ـ المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق الدكتور محمود الطحان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.
١٤٣ ـ معجم الشيوخ، لابن جميع الصيداوي، تحقيق عمر تدمري، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٤٤ ـ المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة.
١٤٥ ـ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ـ دار الكتب العلمية ـ إيران.
١٤٦ ـ معجم المؤلفين، لعمر كحالة، ـ مكتبة المثنى ببغداد، ودار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
١٤٧ ـ معرفة علوم الحديث، للحاكم، تحقيق معظم حسين، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م، ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.
١٤٨ ـ المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق نور الدين عتر ـ دار الوعي ـ حلب.
١٤٩ ـ مفاتح الغيب، للرازي، ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٥٠ ـ المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٥١ ـ المقاصد الحسنة، للسخاوي، تحقيق عبد الله الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٥٢ ـ مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ـ دار الحداثة ـ.
١٥٣ ـ الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٥٤ ـ مناهل العرفان، للزرقاني، تحقيق فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
١٥٥ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ مكتبة السنة ـ القاهرة.
١٥٦ ـ المنتقى، لابن الجارود (انظر غوث المكدود).
١٥٧ ـ المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق حلمي فودة، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٥٨ ـ المؤنس شرح حديث كفارة المجلس، تأليف فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ مؤسسة الريان ـ بيروت.
١٥٩ ـ الموطأ، للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ـ مكتبة البابي الحلبي ـ مصر.

١٦٠ ـ موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٦١ ـ الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ـ دار الفكر ـ بيروت.
١٦٢ ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي البجاوي، ـ دار المعرفة ـ بيروت.
١٦٣ ـ النبوة والعصمة، تأليف فواز أحمد زمرلي، (مخطوط يسّر الله طبعه).
١٦٤ ـ نزهة اعين النواظر، للإمام ابن الجوزي، تحقيق محمد راضي، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٦٥ ـ النزول، للدارقطني، تحقيق علي الفقيهي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
١٦٦ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، تصحيح محمد خان، طبعه سنة ١٣٨٩ هـ ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ الهند.
١٦٧ ـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، ـ دار صادر ـ بيروت.

فهرس الموضوعات